كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
و البابا بطرس خاتم الشهداء

اقرأ و افهم
كتابنا المقدس

فليمون

UP DATE TEL.: 0123607823

إهـــــــــداء ٢٠٠٩

كنيسة القديسين مار مرقس الرسول و البابا بطرس خاتم الشهداء

جمهورية مصر العربية

كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء بالإسكندرية

اقرأ وافهم
كتابنا المقدس





اسم الكتاب: تفسير رسالة فليمون

الناشر: كنيسة القديسين مارمرقس والبابا بطرس

المطبعة: الأنبا رويس "الأوفست"

الطبعة: الأولى ٢٠٠١

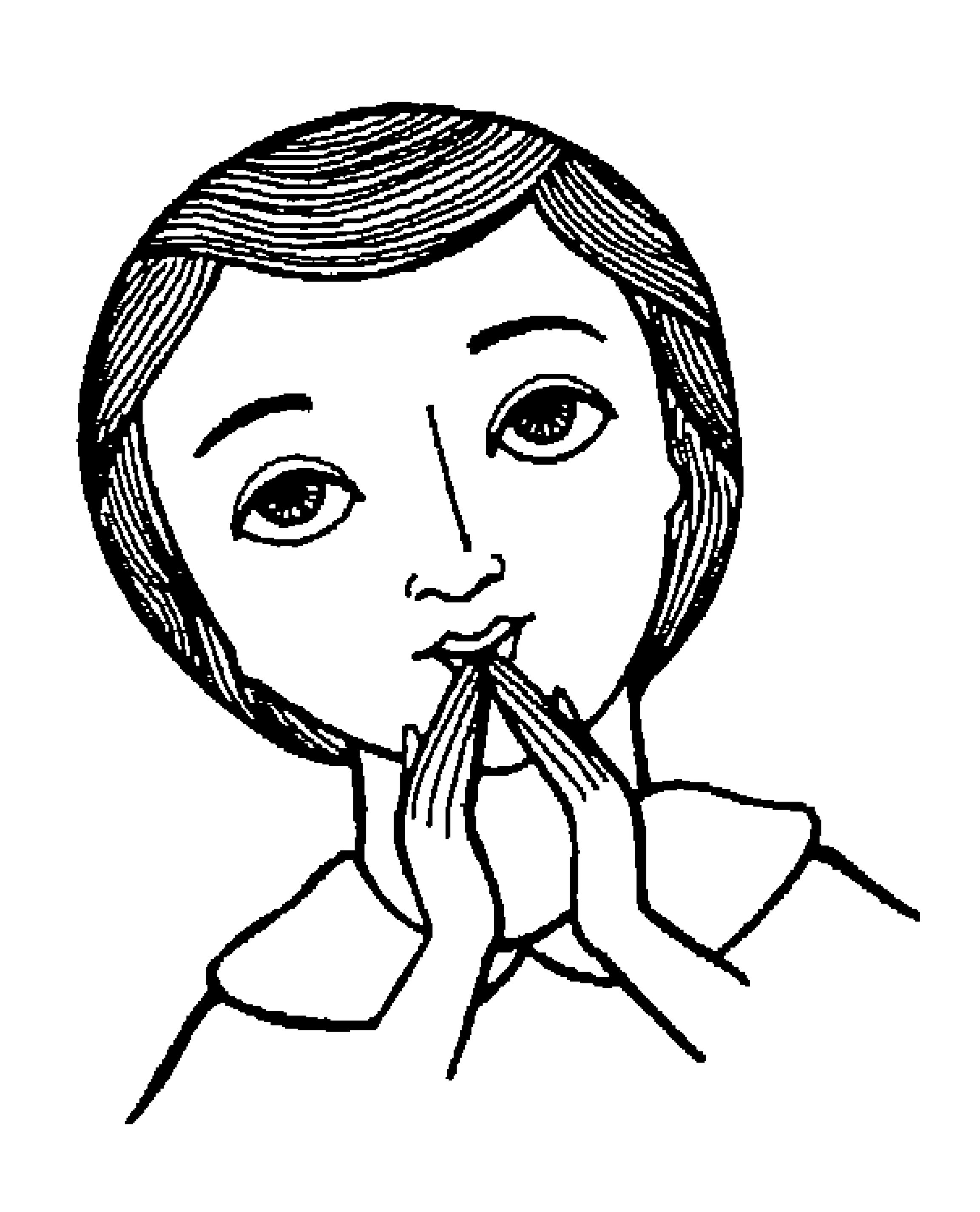
رقم الايداع: ٢٠٠١/٤٩٣٤

مقدمـــة

شكراً لك ياإلهنا الحنون إذ منحتنا فرصة جديدة لأخذ بركة سفر جديد فى العهد الجديد وهو رسالة معلمنا بولس الرسول إلى فليمون .. هذه الرسالة تمثل قصة لطيفة مشجعة لنفوسنا الضعيفة ، ففيها قصة حياتي أنا العبد اللص الهارب من بيت الآب ، وأقدام الرب يسوع تتتبع خطاي فى أرض غربتى وشقائي .. يسرع ورائي لكيما يرفع عنى خطاياي الثقيلة . بل ويرفعنى من مستوى عبد لص هارب غير نافع إلى مرتبة الإبن والأخ المحبوب النافع والخادم الأمين .. إنه يوفي ديوني ويحمل عقاب خطاياى ويعيدنى إلى بيت الآب وأحضانه .

وبهذه الرسالة ياصديقى نكون قد أخذنا بركة رسائل السجن الأربع أفسس وفيلبي وكولوسي وفليمون ، ومن العهد القديم أخذنا بركة أسفار عزرا ونحميا وملاخى ، فأرجوك أن تشاركني الصلاة والتضرع لله لكيما يجعل هذه السلسلة البسيطة نافعة لنفوسنا وللآتين من بعدنا ، وإن كنتُ حقيقة أطمع فى محبته الأبوية فى المزيد لو شاء ذلك .

يليق بك ياإلهنا الصالح المجد والإكرام والتسبيح والتعظيم الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين أمين .



تمهيد

لكيما نعيش أحداث هذه القصة الرائعة يجدر بنا الإشارة إلى الأمور الآتية :

أولاً : رسالة الرجاء .

ثانياً : خلفية تاريخية .

ثالثاً : أبطال القصة .

أولاً : رسالة الرجاء

١- **زمن ومكان كتابة الرسالة :** كتب معلمنا بولس هذه الرسالة نحو سنة ٦٢م إلى فليمون الكولوسي إبان فترة سجنه الأول بمدينة روما حيث سُجِن لمدة *" سنتين كاملتين فى بيتٍ استأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه . كارزاً بملكوت الله ومعلّماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع "* *(أع٢٨ : ٣٠، ٣١)* وإن كان البعض يظن أن الرسالة كُتبت فى أفسس لأن بولس الرسول عقب إطلاق سراحه من سجن روما إتجه غرباً إلى أسبانيا ولم يتجه شرقاً إلى كولوسي فكيف يطلب من فليمون أن يعدّ له منزلاً (فل٢٢) ، لكن الحقيقة أنه لا توجد أى إشارة فى الإنجيل أو فى التقليد تشير إلى سجن بولس الرسول فى أفسس ، ولذلك فالرأى الصائب أنها كُتِبت فى روما فى وقت قريب من الوقت الذى دُونت فيه رسالة كولوسي بدليل أن الأشخاص الذين ذكر بولس الرسول سلامهم فى هذه الرسالة هم الذين جاء ذكرهم فى رسالة كولوسي ، وبذلك تعتبر رسالة فليمون هذه هى الرسالة الرابعة والأخيرة من رسائل السجن الأول . أما طلب بولس الرسول من فليمون أن يعدّ له منزلاً ليذهب إليه فقد يكون بعد إطلاق سراحه رأى أن الكرازة والخدمة فى غرب أوربا كانت فى حاجة ماسة له ، ولذلك غير رأيه وذهب إلى أسبانيا.

٢- **قانونية الرسالة** : قبلت الكنيسة هذه الرسالة ولم يشك أحد من علماء الكتـــاب فى نسبتها إلى معلمنا بولس الرسول ، ووردت الرسالة ضمن وثيقة موراتـورى ، وأشار إليها العلامة ترتليانوس فى رده على مركيون قائلاً بأن هذا الهرطوقى مركيون لم ينتقد هذه الرسالة نظراً لقصرها وخلوها من المسائل اللاهوتية بينمـا إنتقد بقية الرسائل الأخرى ، وأشار إليها أورجينوس فى عظته التاسـعة عشـر عن سفر أرميا ، ودافع عنها القديس جيروم ضد الذين ينفون نسبتها إلى بولـس الرسول ، واحتسبها المؤرخ يوسابيوس القيصرى ضمن الأسفار القانونية .

٣- **موضوع الرسالة** : سلب أُنسيمس بعض أموال سيده فليمون وهرب إلى رومـا ، ولكن النعمة الإلهيَّة إقتادته إلى بولس الرسول فآمن وتاب واعترف ونال سـر العماد المقدس ، وتغيرت حياته من الشر للخير ومن الفساد للصلاح ومن عـدم الأمانة للأمانة ، فصار نافعاً لبولس الرسول فى مجال الخدمة ، حتى أن معلمنـا بولس أراده أن يظل معه فى الخدمة بروما ولكنه لم يشأ أن يفعل ذلـك بـدون إرادة سيده فليمون ، فأعاده إلى سيده بهذه الرسالة الرقيقة سائلاً إياه العفو عـن عبده ومقدماً التعهد بإيفاء المال المسلوب منه وأملاً أن يعيده إليه ثانية .

٤- **سمات الرسالة** : من أهم سمات الرسالة ما يأتى :

أ- أقصر رسالة دونها بولس الرسول ، وإن كانت تخلو من الأمور اللاهوتيـة ولا تعالج أخطاء عقائدية إلاَّ أنها غنية بالمعانى الروحية مثل النعمة الإلهيَّـة التى تغير أشر الخطاة وتحولهم إلى قديسين ، وغنية بالحب الإلهى القادر أن يتعقب النفوس ويصطادها .

ب- رسالة شخصية من صديق إلى صديقه تفيض بـالحب والـود والعذوبـة واللطف والرقة والبراعة واللباقة والحصافة والحكمة .. تأمل كيف عـرض بولس الرسول قضية عبد لص هارب يستحق الموت على محكمـة العـدل والرحمة وكيف ربح البراءة لموكله .

حـ- رسالة الحب الرعوي التى كشفت عن حب الراعي لأولاده سواء عبيد أو سادة بدون تمييز ، فأغدق حبه على العبد حتى إعتبره إبنه وأخيه المحبوب وقطعة منه " أحشائي " وكأنه هو نفسه " أقبله نظيرى " وسكب حبه على السيد فليمون المحبوب الذى إستراحت به أحشاء القديسين .

د- رسالة العمل الفردي ، فبالرغم من مشاغل بولس الرسول الكثيرة جداً واهتماماته العديدة بالكنائس وأولاده فى كل مكان ومواجهة البدع والهرطقات التى يزرعها عدو الخير فإنه يهتم بقصة عبد ، وياليته عبد صالح له حق مهضوم . بل عبد خاطئ لص هارب .

هـ- رسالة الشفاعة التى يشفع فيها بولس الرسول لدى فليمون عن إبنه أُنسميس الذى وُلِد فى قيوده ، فهى ظل شفاعة المسيح المصلوب من أجلنا لدى الآب السماوي . كما أن تعهد بولس بإيفاء الدين الذى على أُنسيمس هو صدى لإيفاء المصلوب الدين الذى علينا .

و- رسالة الأدب المسيحي التى إستطاع فيها بولس الرسول أن يعالج قضية العبد اللص الهارب التائب دون أن يجرح مشاعره فى شئ بل أكرمه ورفع شأنه ، وأيضاً لم يسلب حق السيد بل أعاد له عبده ، وكتب صك ضمان على نفسه بسداد الدين ، ولم يأمر فليمون بسلطانه الرسولي بل إستخدم سلطان الحب ، فيمكن وضع عنوان للرسالة وهو ***" رابح النفوس حكيم " (أم١١: ٣٠)*** وأما موضوعها فهو ***" الجواب الليّن يصرف الغضب " (أم١٥ :١)***.

ز- تعالج الرسالة مشكلة " الرق " من منظار مسيحي ، فهو لا يخاطب سيداً وعبداً بقدر ما يخاطب اثنين من الأخوة المؤمنين ، وإن كان نظام الرق قد فصل بين طبقات المجتمع فإن محبة المسيح جمعت الكل فيه ، وحطمت الحواجز وقتلت العداوة ، فنحن فى المسيح أسرة واحدة ، جسد واحد بغض النظر عن الوضع الاجتماعى أو الثقافى أو غيره ، وفى هذه الرسالة تتجلى

عظمة الكتاب المقدس الذى أفرد سفراً خاصاً من أسفاره المقدسة لأجل عبد هارب.

ح- تعالج الرسالة قضية السرقة من منظار مسيحي ، فتعتبر قصة أنسيمس التطبيق العملى لما جاء فى رسالة أفسس *" لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديهِ ليكون له أن يعطى مَنْ له إحتياج " (أف ٤: ٢٨)*

ط- تُظهِر الرسالة تشغيل الطاقات ، فلم يكتفِ بولس بتوبة العبد اللص الهارب ليصبح عبداً أميناً نافعاً لسيده . بل سامه شماساً ودفع به فى طريق الخدمة فنجح وأفلح وخلّص نفوساً كثيرة من هوة الهلاك .

ثانياً : خلفية تاريخية

دارت أحداث هذه القصة بين كولوسي وأفسس وروما ، فكولوسي هى موطن فليمون حيث عاش أُنسيمس عبداً هناك ، وإلى أفسس إمتدت تجارة فليمون وفيها إلتقى بكاروز الأمم فى مدرسة تيرانس وسمع بشارة الملكوت ونال الصبغة المقدسة وإليها ذهب أُنسيمس إن لم يكن مع سيده فأثناء رحلة هروبه ، وإلى روما هرب أُنسيمس حيث إلتقي ببولس الرسول أسير يسوع المسيح فتاب واعترف وآمن واعتمد وخدم وصار نافعاً ، ولكيما نعيش أحداث هذه القصة الرائعة أضع أمامك ياصديقى تصوراً ولو بسيطاً عن كل مدينة من المدن الثلاث السابقة ، وأيضاً لأن أُنسيمس عاش عبداً ونحن فى القرن الواحد والعشرين يصعب علينا تصوُّر نظام الرق والعبودية حينذاك لذلك نتعرض ولو قليلاً إلى نظام الرق ونرد على تساؤل هام : لماذا لم تلغِ المسيحية نظام الرق ؟

* **كولوسي** : تعتبر من أهم مدن فريجية الثلاث هيرابوليس ولادوكية وكولوسي ، وتقع منطقة فريجية فى الجزء الجنوبى الغربى من آسيا الصغرى وهى الآن جزءاً من الأراضى التركية ، وتقع كولوسي على بعد ١٦٠ كم شرقى أفسس فى وادى ليكوس الجميل المشرق ، ومعنى ليكوس أى الصوف ، وقد سُميَّ

بهذا الإسم نظراً لإنتشار قطعان الأغنام التى تنتج أجود أنواع الصوف فى العالم وقتئذٍ ، ولذلك إشتهرت كولوسي بصناعة المنسوجات الصوفية التى يدعونها " الكولوسيَّة " كما قامت فيها صناعة الصباغة نظراً لوفرة المياه بها ، ففى جنوب المدينة يجرى نهر " الميناندر " الذى يتفرع منه نهر ليكوس ، ويبلغ إتساع وادى ليكوس نحو ثلاثة كيلومترات تحده الجبال التى تحيط بالمدينة ، ومن خلفها تقع سلسلة جبال كدموس .

ويمر بكولوسي الطريق الرئيسي الممتد من أفسس غرباً إلى وادى الفرات شرقاً حيث تجرى العربات بأنواعها المختلفة - تنقل المسافرين وبضائعهم ، فمنها الصغير ذو العجلتين والحصان الواحد ، ومنها الكبير ذو الأربع أو الست عجلات وحصانين فما فوق ، ومنها المكشوف ومنها المُغطىّ ، وفى المدينة يقطن عدد كبير من اليهود الذين هجَّرهم أنطيوخس الكبير ملك سوريا من بلادهم إلى منطقة فريجية . كما هاجر إليها كثير من اليهود آبان فترة إضطهاد أنطيوخس الثالث والرابع منذ نحو مائتى عام قبل الميلاد ، وكعادتهم عملوا بالتجارة وصاروا من اثرياء البلد .

وعلى المرتفعات التى تطل على مراعى الأغنام فى كولوسي أُقيمت منازل الأغنياء حيث الهواء العليل المنعش والهدوء المريح الذى يتخلله ثغاء الحملان وزقزقة العصافير ، وعلى المنحدرات انتشرت أشجار الزيتون كعلامة سلام يظلل المنطقة بينما ارتفعت فى وادى ليكوس أشجار الصنوبر والسنديان ، وفى السهول إمتدت الحقول التى تفصل بينها الطرق الضيقة الترابية وتسير عليها العربات الخشبية مقعقة تجرها الثيران القوية تحمل أجوال الحنطة إلى مخازنها وأعواد التبن إلى مخازنه .. ينتشر العبيد فى تلك الحقول ولا يكفون عن العمل الشاق منذ الشفق وحتى الغسق ، فالبعض منهم يقتطف العنب والتين والرومان والبعض ينقل هذه الثمار على أسطح المنازل لتجفيفها ، وفى موسم الزيتون البعض يجنى والآخر ينقل إلى المعاصر حيث يفيض الزيت ويُحفَظ فى خوابيه .

ومنطقة فريجية منطقة زلازل ولا سيما مدينة لاودكية الغنية الجميلة التي تعتبر المركز الرئيسي للأعمال المصرفية في آسيا ، وقد دمرتها الزلازل منذ نحو أربعين عاماً ، فأعاد أهلها الأثرياء تعميرها على طراز أحدث وأجمل ، وأنشأوا فيها الطرق العريضة ومسارح ثلاث ومبنى للألعاب الرياضية .

* **أفسس** : تمثل أفسس عاصمة آسيا الصغرى ، وتقع في منتصف الساحل الغربي على الشاطئ الأيسر من نهر الكايستر بالقرب من مصب النهر على بعد ثلاثة أميال من بحر إيجه ، ويمتد أمام المدينة وادى خصيب متسع كأن المدينة مستلقية في أحضانه ، بينما يرتفع جبلا " بريون " و " كوربسوس " وينحدر جبل كوربسوس تدريجياً حتى يصل إلى بحر ايجه بمياهه الفيروزية ، وتقع المدينة في ملتقى الطرق البريّة والبحريّة ، فيمر بها الطريق الرئيسي بين روما والشرق ، وعن طريق مينائها الصناعي ترتبط بدول أوربا ، ومن هنا جاءت أهمية أفسس كمدينة تجارية وكمدخل رئيسي إلى قلب أسيا الصغرى .

ومن أهم معالم مدينة أفسس مسرحها الذى يكفي لجلوس ٢٤٥٠٠ نفس ، وفيه تقام الأنشطة الرياضية المختلفة من عدو ومصارعة للوحوش من أسود ونمور يجلبونها من غابات افريقيا ، وفي أفسس على أرض الجمال أُقيم معبد أرطاميس أحد عجائب الدنيا السبع قائماً على ١٢٧ عموداً فخماً بطول ٦٠ قدماً غاية في الروعة ، وقد أهداها ملوك المنطقة لإلهتهم أرطاميس ، وحوى المعبد مجموعة رائعة من التماثيل واللوحات الفنية وفيه أُقيم تمثال ديانا التي دعاها اليونانيون ارطاميس ، وقد صُنِع تمثالها من الحجر الأسود (غالباً نيزك ولذلك ادّعوا أنه هبط من السماء) على شكل فتاة عذراء فارعة الطول وبارعة الجمال يعلو رأسها تاج منقوش عليه سور مدينة حصينة ، والنصف العلوى للتمثال ممتلىء بصفوف من الثدي علامة الحياة لأنهم يعتقدون انها تمثل أم الحياة ، وعلى ذراعيها تقف تماثيل كثيرة لأيائل وأسود . أما النصف الأسفل فيظهر ملفوفاً مثل موميات قدماء

المصريين ، ويختفى التمثال وراء ستار حتى لا يراه أحد إنما يسجدون أمامه .

وبين الأعمدة الرخامية المحزَّزة ظهرت التماثيل الفضية المختلفة لأرطاميس بأحجامها المختلفة ، فبعضها ضخم جداً وبعضها صغير جداً حتى أنه يصلح أن يُعلّق فى العنق كتعاويذ .. يحمى الإنسان من الشرور بحسب المعتقدات الوثنية ، وهذا التمثال الصغير مثله مثل الكتب الصغيرة جداً التى يكتبها سحرة أفسس ، وفى أوقات العبادة تنطلق سحب البخور الكثيفة ، ومع الإضاءة الخافتة يمارسون الرذيلة مع كاهانات المعبد كنوع من الطقوس الشيطانية التى يقدمونها لإلهتهم أرطاميس ، ويصنع الصنَّاع ورجال الصاغة نماذج مختلفة الأحجام لتمثال ارطاميس من الفخار أو الفضة ليبيعونها للحجاج الذين يأتون للعيد فى شهر مايو من كل عام فى مواكب كبيرة ، وفى يوم العيد يحملون تمثالاً ضخماً لأرطاميس على عربة تجرها الظباء فتطوف من الهيكل إلى شوارع المدينة ، ومسرحها الكبير الذى تقام فيه المباريات الرياضية والمصارعات المختلفة ، وسوقها التى يزدحم بالآلاف ، ومكتبتها التى حازت شهرة عالمية.ثم يعودون للمعبد ينشدون حتى مطلع الفجر ، ومن كثرة الزحام فى المعبد يتعرض البعض للإغماء . أما الذى يسقط على الأرض فإنه يداس بالأقدام

وتعتبر أفسس مدينة مقدسة بسبب الإلهة أرطاميس فلا يُسمَح لأحد بإلقاء القبض على لص ولا مجرم دخل المدينة ، بل وعلى بعد رمية حجر من سورها ، ولذلك أقام المجرمون تجمعات لهم بالقرب من الهيكل ، واشتهرت أفسس بالسحرة والمشعوزين ، وفى وسط هذا الظلام الدامس حيث لا إله ولا رجاء بدأ ينتشر نور الإنجيل رويداً رويداً عن طريق اليهود الذين حضروا حلول الروح القدس فى أورشليم وعادوا إلى مدينتهم أفسس ، وجاءت زيارة بولس الرسول الأولى للمدينة سنة ٥٤م فى نهاية الرحلة التبشرية الثانية مع أكيلا وبريسكلا حيث مكث فترة صغيرة جداً وترك فى المدينة أكيلا وبريسكلا ينيران سماء أفسس ، ثم جاء أبلوس اليهودي السكندري الرجل الفصيح المقتدر فى الكتب وبشر بمعمودية يوحنا

فأضافه أكيلا وبريسكلا وعلّماه طريق الرب بأكثر تدقيق ، وأخيراً عاد كاروز الأمم للمدينة ومكث بها نحو ثلاث سنين يكرز فى مجمع اليهود ثم فى مدرسة تيرأنس فزلزل أركان الوثنية البغيضة حتى أن الكثيرين من السحرة آمنوا وحرقوا كتب السحر التى قدّر ثمنها بخمسين ألفاً من الفضة (أع١٩:١٩) و *" سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى آسيا من يهود ويونانيين " (أع١٩: ١٠)* وكان من هؤلاء فليمون الموجه إليه هذه الرسالة ، وبينما لم تقوَ شياطين أرطاميس على صنع معجزة واحدة فإن الله كان *" يصنع على يدى بولس قوات غير المعتادة حتى كان يُؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة "* (أع١٩: ١١،١٢) وظل بولس يكرز حتى قاد ديمتريوس صاحب أكبر الحوانيت لبيع تماثيل ارطاميس مظاهرة ضخمة واختطفوا غايس وارسترخس رفيقى بولس فى السفر وهم يهتفون *" نحو مدّة ساعتين عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين . ثم سكّن الكاتب الجمع " (أع١٩: ٣٤،٣٥)* ، وعقب هذا ترك بولس أفسس وقد ترك فيها كنيسة قوية قضت تماماً على الوثنية (راجع تمهيد رسالة أفسس) .

* **روما :** أعظم مدن العالم ، فهى عاصمة الإمبراطورية الرومانية التى تسود على العالم كله ، ومنها تنتشر الطرق إلى أرجاء المسكونة ولذلك قيل " كل الطرق تؤدى إلى روما " ، وفيها قصر الإمبراطور ومنه تصدر الأوامر والقرارات والتوصيات التى ترسم سياسة العالم كله ، وفى أحيائها الراقية تنتشر قصور العظماء ذات الحدائق الغناء ، فيستمتع أصحابها من قادة الجيوش وأعضاء مجلس الشيوخ وكبار التجار ورجال السياسة بأصوات الببغاوات الجميلة ومناظر الطواويس الخلابة التى جُلبت من غابات أفريقيا وبلاد الهند البعيدة ، وهذه القصور بمبانيها الفخمة وأثاثاتها الرائعة وما تحتويه من تحف نادرة وتماثيل ناطقة وستائر هفهافة آية من الفن المعماري والحضاري ، وتتحلى سيدات القصور بالمجواهرات الثمينة والروائح العطرة كثيرة الثمن ، وقد لا يسرنّ على اقدامهنّ فى شوارع الحي

إنما يُحملنَّ على المحفات التى يحملها العبيد على اكتافهم يتبعهنَّ إماءُهنَّ .

وعلى ضفاف الشوارع التجارية بتلك المدينة تزدحم المتاجر بالمعروضات المختلفة من ملابس ومأكولات وتوابل وعطور وتحف داخلها وخارجها ، وهناك حوانيت خاصة لأدوات القتال من أتراس وسيوف وخناجر مطعَّمة بالعاج والأبنوس ، ومحال الصاغة حيث ينكب الصائغ أمام بوتقته التى تشبه نصف قشرة البيضة والنيران تشتعل أسفلها حتى يتصفى الذهب الذائب من الشوائب مرة ومرات إلى أن يرى الصائغ صورته فيه واضحة وكأنه مرآه ، فيشكله إلى حلى كما يحلو له ، وهناك المطاعم حيث يتصاعد دخان اللحوم المشوية ، والخمارات العامرة بالفاسدين المفسدين ، وبسبب كل هذا الزحام مُنعِت العربات من السير نهاراً بينما تضج طوال الليل بأصوات بكراتها المزعجة . أما حمامات روما فهى على مستوى عالٍ من الرفاهية ففيها أحواض للماء البارد ، وأخرى للماء الساخن ، وغرف متنوعة للبخار ، وللتدليك ، ولألعاب القوى ، ولتناول الأطعمة والمشروبات والتسامر والسهر.

أما أحياء الفقراء فيها البؤس متجسماً مرسوماً على الوجوه ، فالناس يُحشرَون فى حجرات ضيقة ببيوت متداعية لا يكاد يصلها نور الشمس لضيق الشوارع والحوارى ، فتنفذ منها الروائح الكريهة ، بالإضافة إلى أصوات الشتائم والسباب المتصاعدة من أفواه اللصوص والعبيد الهاربين من أسيادهم ، وبها رجال العصابات الذين يقعون على المسافرين فيسلبونهم حتى أنهم قد يعودون للحي بأجولة القمح وقِرَب النبيذ والفواكه المجفَّفة والحلى الذهبية المشغولة .

حقاً أن لروما وجهين كليهما أشر من الآخر ، فأحدهما يمثله العظماء الأثرياء علي رأسهم الإمبراطور نيرون الذى يؤلهونهُ وهو شخص سمين شهوانى غير سوى ، له أهواءه ونزواته معجباً بنفسه يتلو قصائد الشعر ، ويتلقى الهدايا من الملوك والولاة والعظماء من مشارق الأرض ومغاربها ، وقد وصل به جنون العظمة إلى قتل أمه وزوجته وطرد أحكم مستشاريه الفيلسوف سينكا . مجلسه

مجلس المستهزئين الماجنين الذين لا يكفون عن الأكل والشراب حتى أنهم يتقيأون ليعودوا للطعام والتلذذ بشهوته ، ويكثرون الشراب حتى يتساقطوا سكارى تحت الموائد ، والقصر لا يخلو من المكائد والخيانة والمؤامرات .. أنها صورة الشر التى وصف معلمنا بولس الرسول بعض جوانبها فى الأصحاح الأول من رسالته التى أرسلها لتلك المدينة . إنما الوجه الأخر الذى لا يقل شراً فهو وجه الرعاع واللصوص والمجرمين والانحطاط الخلقي فى أحياء الفقراء حتى أن بعضهم عندما لا يجد ما يسد به رمقه ولا يعرف أن يسرق غيره يبيع نفسه كعبد ليجد من يقوته .. أنه الشر فى أحلك صوره .

وأكثر من هذا وذاك ما اعتاد عليه الرومان من مناظر الدماء والأشلاء الممزّقة التى تبدأ فى مدرسة تدريب المصارعين حيث التدريبات الشرسة وضراورة القتال بين أجساد مفتولة العضلات ومشوهة بآثار الجروح ، وفى أوقات الراحة لا تجد إلاَّ الشراهة والمزاح السخيف والأقسام الغليظة والتحديات السافرة .. أنهم ثيران قد سُمِنَت ليوم الذبح ، ففى يوم الاحتفال ينزلون إلى الحلبة بملابسهم المميزة وكل منهم عرف غريمه عن طريق القاء القرعة .. يدورون حول الحلبة وعندما يصلون أمام المنصة حيث نيرون جالس مع زوجته يلوّحون بأيديهم اليمنى ويخاطبونه " عش أيها الملك . نحن القريبين من الموت نحييك " وعندما يعطى نيرون إشارة البدء يتبارزون ويتصارعون ويتقاتلون كل اثنين معاً حتى يسقط أحدهما مضرجاً فى دمائه ، فلو بقيت لديه قوة مائه يرفع يده اليسرى طالباً الرحمة من نيرون الذى يحكم عليه بالحياة أو الموت بإشارة من إبهامه ، وأشد ما يهتفون له عندما يغمد المصارع سيفه أو خنجره فى قلب غريمه فتنفجر الدماء ، ولا ينتهى الإحتفال إلاَّ وقد سقط نحو نصف المتصارعين فتُحمل جثثهم وتُطرَح فى نهر التيبر الذى يمثل مقبرة البائسين العاجزين عن مواجهة الحياة والأطفال الغير مرغوب فيهم ، ومن لا يصارع الرجال فإنه يصارع الوحوش من أسود وفهود ونمور جائعة وأفيال هائجة ، ومن

ينجو من هذه المذبحة ثلاث مرات ينال حريته ويغدقون عليه القطع الذهبية والهدايا . حقاً كانت الحياة الإنسانية فى المجتمع الروماني بلا قيمة ولا هدف حتى أنهم كانوا يحضؤون الطفل أمام أبيه عقب ولادته فإن شاء أن يحيا فيحملونه ليعتنوا به ، وإن لم يشأ فيحملوه ليطرحونه بلفافته فى نهر التيبر عند مصب مجارى المدينة مع القاذورات والمخلفات دون أية مساءلة قانونية . حقاً من أجل هذا المجتمع تجسد ابن الله لينقذ الإنسان من حياة كهذه .

* **نظام الرق** : إنتشر الرق فى العالم القديم سواء فى المجتمع اليهودي أو اليوناني أو الروماني حتى بلغ عدد العبيد نحو نصف تعداد الإمبراطورية الرومانية بل أن بعض المدن مثل أثينا التى بلغ عدد سكانها نحو نصف مليون نسمة كان أربعة أخماس السكان من العبيد والإماء ، والنسبة كانت قريبة من ذلك فى روما ، وقيل أن عائلة واحدة من العائلات الغنية كانت تمتلك عشرين ألف عبداً ، وعندما صدر أمر إمبراطوري لإرتداء العبيد ملابس معينة تُميّزهم عن الأحرار فوجئوا بأعدادهم الضخمة ، الأمر الذى خشوا معه إحساس العبيد بقوتهم وثورتهم على أسيادهم ، فعادوا والغوا هذا الأمر الإمبراطوري .

وليس بالضرورة أن يكون العبد قد ورث العبودية عن والديه . بل كثيراً ما كان يتعرض المقاتلون للأسر فى المعارك ويباعون كعبيد ، وأيضاً كان بعض الشرفاء يتعرضون للأسر من قِبل قطاع الطرق وقراصنة البحار ويباعون كعبيد ، وأحياناً كان يستدين إنسان ما ولا يقدر أن يفى دينه فيباع كعبد ، ولذلك تغلغل العبيد فى الحياة الاجتماعية وقاموا بأعمال الطب والهندسة والفلسفة والتعليم والسكرتارية والأمور المالية .. إلخ .

ولم يكن للعبد أى حق من الحقوق الإنسانية ، فليس له الحق فى إمتلاك أى شئ إلاَّ بإذن سيده ، ولا يقدر أن يأكل إلاَّ بقدر ما يسمح له به ، وبينما يعيش السادة فى البيوت والقصور فإن العبيد يقيمون فى الأكواخ الترابية ، وبينما يجلس

السادة فى الشتاء القارص أمام مدافئهم فإن العبيد يقومون على خدمتهم وتغذية النار بالأخشاب حتى يذهب السادة إلى فراشهم الدافئة وينسحب العبيـــد إلـــى أكواخـــهم ليعانوا من البرْد القارص الذى يؤدى إلى داء المفاصل ولا سيما لدى كبـــار الســـن من العبيد ، فالعبد لا يُحتسب كإنسان بل كآلة ، فإن مرض لا يُعطَـــى لـــه القـــدر المعتاد عليه من الطعام لأنه صار مثل آلة تالفة ، ولا يجد الدواء لأن ثمن الـــدواء ربما يفوق ثمنه كعبد ، وإن أمهله الحظ وعاش حتى الشيخوخة ربما يلقون به إلـــى الخارج ليلقى حتفه لأنه لم يعد نافعاً لسيده .

وللسيد كامل الحرية لكيما يتصرف فى عبده دون أدنـــى مســـألة قانونيـــة ، والنظام السائد هو الشدة مع العبد حتى قيل " لا تقتن العبد إلاّ والعصا معه " فـــأي خطأ بسيط يقع فيه العبد يعرضه للجلد بطريقة هينة تمزق جسده ولكنها لا تخلـــف وراءها العاهات المستديمة . أما إن كان حظه عاثر فإنه يُجلّد بالطريقـــة الأخـــرى التى تشوه جسده وتحطم عظامه وغالباً ما تودى بحياته ، وبعض أشـــراف رومـــا كانوا يربون التماسيح فى بحيرات صناعية ، فلو اخطأ العبد وكان مـــزاج الســـيد متوعكاً فمن السهل أن يأمر بإلقائه فى هذه البحيرة فيتلون ماء البحيرة بدمه وتتناثر أشلاءه الممزقة ، ويحكى " بلنى " قصة " فيديوس " الذى القى بعبـــده فـــى بركـــة أسماك متوحشة ففتكت به لأنه كان يحمل صينية عليها كؤوس من الكريستال فسقط منه كأس وانكسر ، وقال جوفينال أن إحدى السيدات كانت تتلذذ بضـــرب أمتـــها ، واحد السادة كان يتلذذ بسماع صوت الضربات التى تلحق بعبده وتأوهـــات العبـــد وكأنه يستمتع بأغنية رائعة (راجع تفسير الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس وفليمـــون لوليم باركلى صـــ٣٧٠ ، ٣٧١) أما العبد الذى يسرق ولو طعاماً بسيطاً يســـد بـــه رمقه فإنه كان يتعرض للكي بالنار فينقشون على جبهته حرفين معناها " إحـــترس لص " . أما العبد الهارب لو ضبط فأقل عقاب يلحق به هو أن يعمل فـــى الأرض بلا هوادة وهو مقيد بالسلاسل ، وقد يُجلّد جلدات موجعة ، وقد يُعذّب حتى الموت

أو يُصلَب على جزع شجرة ، وبسبب مثل هذه المظالم التى تعـرض لـها أولئـك العبيد لذلك وجدوا فى شخص الرب يسوع المصلوب المكلـل بالأشـواك الملجـأ الأمين والعزاء ونعم الصديق.

والآن نأتى للسؤال الهام وهو : **لماذا لم تلغِ المسيحية نظام الرق البشع ؟**

١- نادت المسيحية بالحرية الحقيقية من إبليس والخطية ، وهذه الحرية هـى التـى قصدها الرب يسوع عندما قال لليهود " ***إن ثبتُّم فـى كلامـي فبالحقيقـة تكونـون تلاميذى وتعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم" (يو٨: ٣١، ٣٢)*** وهم ظنوا إنه يكلمهم عـن العبودية البشرية لذلك قالوا له "***أننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبَد لأحد قط كيـف تقـول أنت أنكم تصيرون أحراراً .أجابهم يسوع الحقّ الحقّ أقول لكم أن كل من يعمل الخطيـة هو عبد للخطية .. فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً "(يو٨: ٣٣-٣٦)*** .

٢-ظهرت عظمة المسيحية فى أنها وهبت الإنسان القوة ليكون ناجحاً أينما كان ومـهما كان وضعه الاجتماعي ، فسبب النجاح والسعادة هو وجود الله فى حيـاة الإنسـان ولذلك كان يوسف ناجحاً رغم أنه كان عبداً فى بيت فوطيفار ،.وكان ناجحاً وهـو فى السجن مسجون ، وأيضاً كان ناجحاً عندما أصبح الرجل الثانى فى مصر .

٣- المسيحية وحَّدت المؤمنين إذ عرفتهم إنهم جميعاً أعضـاء فـى جسـد المسـيح الواحد بغض النظر عن اية فروق اجتماعية او ثقافية أو جنسية أوغيرها "***ليـس يهودي ولا يوناني . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع" (غل٣: ٢٨)*** [وأيضاً كو٣: ١١] وهكذا عاش المجتمـع المسـيحي الأول فى سلام وهدوء بلا عداوة ..مجتمع يضم اليهودي واليوناني بعد أن قتـل الـرب يسوع العداوة بينهما بصليبه ..مجتمع يضم العبيد مع الأسياد ، والجميـع يلتقـون ويعبدون الله معاً ، لهم أب واحد هو الله وأم واحدة هـى الكنيسـة ، يتصـافحون بقبلة المحبة ، ويتناولون جميعاً من خبزة واحدة ويشربون مـن كـأس واحـد ، وقد وجد العبد فى المسيحية كيانه وعرف أن له روح خالدة مثـل بقيـة البشـر الأحرار ، وله نصيب فى الملكوت مثلهم ، وعلم أن سيده مهما كان قاسياً فظاً فإنه

ليس له سلطان إلاّ على جسده فقط أما روحه فهي حرة ملك لله وفي حمايته .

٤- المسيحية اصلحت الإنسان من الداخل ، فالعبد المسيحي تحلى بالطاعة الاختيارية والأمانة في العمل واثقاً أنه سينال المكافاة من سيده المسيح ، وبهذا ارتفع ثمن العبد المسيحي عن نظيره الغير المسيحي ؛ وأيضا زرعت المسيحية الرحمة في قلوب السادة ، ونبهتهم أنهم هم أيضاً عبيد لرب السماء والأرض الديان العادل ، فظهرت قوة المسيحية وتأثيرها على فليمون السيد الحر الذى تخلى عن حقه المشروع ، وأيضاً على أُنسيمس العبد الشرير فغيرت سلوكه حتى صار باراً وخادماً للنفوس ، وظهر تأثير المسيحية أيضاً على بقية المسيحيين الآخرين الذين قبلوا العبد الهارب ولم يبكتوه على خطيته ولم يحتقروه بل قبلوه وكرّموه حتى نصبوه اسقفاً عليهم .

٥- ظهرت عظمة المسيحية في تخصيص رسالة من رسائل العهد الجديد لأجل قضية عبد ، وياليته كان عبداً صالحاً إنما هو طالح سارق هارب من سيده ، فغيرته ، وصارت هذه الرسالة شاهدة على قوة تأثير المسيحية في النفوس . هذا بالإضافة إلى الوصايا العديدة التي وجهها الكتاب للعبيد لكيما يرضوا سيدهم السمائى (١كو٧: ٢١-٢٣، أف٦: ٥-٨ ،١تي٦: ١، في٢: ٩) .

٦- كان نظام الرق متعارف عليه في الإمبراطورية الرومانية وكان يعتبر من الاسس التي يقوم عليها المجتمع ، فلو نادت المسيحية بإلغاء هذا النظام لأوجدت المبرّر لثورة العبيد على سادتهم ولا سيما أن نفسيتهم كانت مهيأة لهذا العمل بدليل ما قاموا به من ثورات في ذلك العهد وما ترتب على هذه الثورات من صلب الآلاف منهم .

٧- لو ألغت المسيحية نظام العبودية لأحتسبها الأشراف أنها حركة ثورية عدائية جاءت لتهدم كيان المجتمع القائم . إنما وضعت المسيحية بذرة تحرير العبيد لحين يأتي الوقت المناسب فيتم تحريرهم ، وهذا ما صنعه الرجل المسيحي

آبراهام لينكولن رئيس الولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر ، وإن كانت المدة طالت كثيراً فليس العيب فى البذرة ولكن العيب فى تربة البشرية القاسية التى لم تنبت سريعاً هذه الحرية .. لقد رفعت الثورة الفرنسية شعار الحرية والمساواة والإخاء ، ولكنها سلكت بالعنف حتى سالت الدماء أنهاراً من تحت المقصلة بينما نادت المسيحية بنفس المبادئ ونجحت فى تحقيقها دون أن تسفك قطرة دم واحدة لعبد ولا لسيد .

ثالثاً : أبطال القصة

١- **بولس الرسول** : شخص غنى عن البيان ، فهو شاول الطرسوسي اليهودي المتعصب مضطهد الكنيسة والمفترى على أولاد الله ، وهو الذى افتقدته النعمة الإلهيّة وظهر له رب المجد شخصياً ، واختاره أن يكون إناءاً مقدساً له وكاروزاً للأمم فجاب المسكونة شرقاً وغرباً يكرز باسم المصلوب مؤسساً كنائس عديدة ، وهو أكثر من سجل لنا اسفاراً مقدسة فى العهد الجديد إذ بلغت رسائله اربع عشرة رسالة من مجمل ٢٧ سفراً .. شهد للرب يسوع بكلامه وسلوكه . بحركاته وسكناته . فى اسره وحريته . بحياته واستشهاده ، وقد التقينا به من قبل فى رسائل السجن الثلاث أفسس وفيلبي وكولوسي ، والآن نلتقى به فى رسالة السجن الرابعة وهى الرسالة إلى فليمون .

٢- **فليمون** : معنى إسمه "محب" أو "ودود" أو "حنون". رجلاً رومانياً وثنياً غنياً من وادى ليكوس يقطن فى كولوسي ، ويملك قطيعاً كبيراً من الاغنام ، ويعمل بتجارة الأصواف التى تشتهر بها مدينة كولوسي فيأتى إليه التجار من أفسس وغيرها ليشتروا منه الأصواف ، كما كان يقوم هو بزيارة المدن المحيطة لعقد الصفقات ، وبينما كان يسافر إلى أفسس لعقد بعض الصفقات التجارية التقى ببولس الرسول خلال المدة ٥٤-٥٧م ربما فى مدرسة تيرانس حيث كان يُعلّم

لمدة سنتين ، وآمن عدد كبير من سكان آسيا (أع١٩: ١٠) ، وبينما كان فليمون يبحث عن مزيد من الأرباح وجد اللؤلؤة كثيرة الثمن واكتشف غنى المسيح الذى لا يستقصي ، فآمن وعاد إلى زوجته ابفيَّة وابنه ارخبُّس وعبيده بما فيهم أُنسيمس ، ففتح بيته كنيسة لاجتماع المؤمنين (فل٢) فصار فليمون مصباحاً يضئ ظلمة كولوسي ، وواحة خضراء فى صحراء قاحلة ، فيتوافد إليه المؤمنون كل ليلة بعد عودتهم من أعمالهم وحقولهم حتى أن الرعاة يحملون رائحة القطعان ، والحصادون يحملون رائحة الحصاد والحقول ، والعبيد وقد انهكت قواهم ، والنساء وقد انتهين من أعمالهنَّ المنزلية ، والأطفال الذين يفرحون بكرم صاحب البيت ، ولا مانع من حضور بعض التجار الذين جاءوا لعقد الصفقات مع فليمون بينما ينهمك أبناء كولوسي فى دراسة النبوات والرموز التى وردت فى العهد القديم وتشير للرب يسوع حتى أن الاجتماع كان ينتهى احياناً فى وقت متأخر .

وكانت علاقة فليمون قوية مع بولس الرسول الذى يحبه حباً جماً ، وطلب منه بولس أن يعفى عن عبده أُنسيمس ويرسله إليه ثانية وأن يعدَّ له بيتاً حتى إذا أُطلق سراحه يأتى إليه (فل٢٢) وكان فليمون عند حسن ظن بولس الرسول ، فقبل شفاعته وقَبِل عبده أُنسيمس فرحاً ليس كعبد بل كأخ محبوب وخادم أمين ، وأعاده إلى بولس الرسول ليستكمل خدمته . أما فليمون فقد خدم الجميع حتى أن أحشاء القديسين قد استراحت به ، وسيم أسقفاً على كولوسي ، وأخيراً كلَّل حياته بالاستشهاد مع زوجته وابنه رجماً بالحجارة فى عصر نيرون يوم ٢٢ نوفمبر بحسب ما ذكر السنكسار اليوناني والتقليد اللاتينى ، وتعيد لهم كنيستنا القبطية يوم ٢٥ من شهر أمشير .

٣- **ابفيَّة** : هى سيدة فريجية يحمل إسمها معنى الأعزاز ، فمعنى اسمها عزة أو عزيزة ، وهى زوجة فليمون التى عاشت فى الوثنية ثم آمنت بالمسيح وخدمت مع زوجها وعاينت عمل الله مع النفوس .

٤- **ارخبُّس** : معنى إسمه " سيد الفرس " وهو ابن فليمون آمن ونال الصبغة المقدسة ، وكان له خدمته فى كنيسة كولوسي أو كنيسة لاودكية المجاورة ، ولذلك يقول عنه معلمنا بولس الرسول فى هذه الرسالة " ***المتجند معنا*** " ***(فل٤)*** وقال فى رسالة كولوسي "***قولوا لأرخبُّس انظر إلى الخدمة التى قبلتها فى الرب لكى تتمَّمها " (كو٤: ١٧)*** وليس معنى هذا أن ارخبُّس مقصر فى خدمته إنما هذا نوع من التحذير والتحريض كما قال لتلميذه تيموثاوس "***لاحظ نفسك والتعليم" (اتي٤: ١٦)*** .

٥- **أُنسيمس** : اسم يوناني معناه " نافع " أو " المُعِين " ويقول الراهب تكلا السرياني عنه أنه " وُلِد فى مدينة تياثيرا ، وكان أبوه فى مركز مرموق ولكنه لم يُوفَّق فى المحافظة على هذا المركز ، ومات ابوه وهنا وصل أنسميس إلى حالة تستوجب الرثاء إذ باعه الدائنون عبداً فى مصنع الارجوان الذى كانت ليديا مساهمة فيه .. وهناك تعلم أُنسيمس الشئ الكثير عن صناعة الارجوان وأفضل طريقة لعمل الحلل الأرجوانية وكيِّها ، ولكنه كان غلاماً متمرداً ومهملاً ومحباً للهو والملذات ، ولما رأى رئيس العمل أنه غير نافع ولا يسهل قيادته عرضه للبيع مرة أخرى ، وقد كان فتى سريع الفهم وسيم الطلعة ، وإذ نظر السيد فليمون ورأى نظرة الآسي واليأس على وجه العبد وهو معروض للبيع فى سوق النخاسين اشفق عليه واشتراه " [١]

لم يكن أُنسيمس راضياً عن وضعه كعبد فى بيت سيده الطيب فليمون الذى كان يهتم بنشر نور المسيح فى مدن كولوسي ولاودكية وهيرابوليس ، وأيضاً لم تشغله الأمور المادية ، ولذلك لم يجد أُنسيمس صعوبة من حجز بعض العملات الصغيرة وهو يشترى احتياجات المنزل على أمل أن يفدى نفسه يوماً ما ، ولم يكن أُنسيمس معجباً بمدينة كولوسي ذات الشوارع الضيقة والتى لا يتوفر

[١] القديس أُنسيمس العبد الهارب – للراهب تكلا السرياني صـ١٢ .

فيها التسليات المثيرة مثل ثياتيرا وأفسس ، ورغم صلاح فليمون ولطفه ومعاملته الحسنة لكن أنسيمس إذ صار عبداً للشيطان أبغض الكل وفكر في نفسه ، وكان يتشوق لزيارة مدينة أفسس حيث المسرح العظيم بما يقام فيه من مباريات ومصارعات مثيرة ، وهيكل ارطاميس أحد عجائب الدنيا . كما أن سماعه عن روما أم الدنيا وعظمتها ومجدها وقوتها أثار في نفسه الاشتياقات والدوافع للحرية وكان فليمون يحتفظ بأمواله في مصرف لاودكية وببعض منها في منزله.

ومدَّ أنسيمس يده إلى مال سيده كما شهد بهذا تاسيتوس المؤرخ ، وربما هرب أولاً إلى أفسس التي تبعد نحو ١٢٠ ميلاً غرب كولوسي ، ومنها أستقل سفينة إلى أيطاليا .. أنها رحلة الألف ميل من كولوسي بقارة آسيا إلى روما بقارة أوربا . هرب أنسيمس بعد أن أختلس من أموال سيده ، ولو كان سيده فظاً قاسياً يعامله بوحشية فربما كان هذا يخفف من جرمه ، ولكن مما يزيد من جرمه أن سيده كان إنساناً لطيفاً وديعاً كصورة حيَّة من مسيحه . لقد وثق فيه سيده ولم يخفِ عنه مكان حفظ الأموال بل أمّنته على أمواله فخانه وهذا يدينه أكثر ، ورغم أن أنسيمس كان يعلم عقوبة السرقة والهروب ولكنه ارتكب كلا الجريمتين ، وهذا يدينه أكثر وأكثر ، ورغم أنه توفرت له الفرصة لخلاص نفسه في بيت سيده إلاَّ أنه استهان وترك البيت وهرب بعيداً ، ومع هذا ورغم شروره العديدة إلاَّ أن نعمة الله كانت تقف له بالمرصاد لتنقذه من شره وتفتقده ليصير ابناً خاصاً لبولس الرسول كاروز الأمم بل إبناً لملك الملوك ورب الأرباب .

وصل أنسيمس إلى روما وعاش في الحي الشعبي حيث الشوارع الضيقة والزحام الشديد والحانات القذرة واللصوص والمجرمين وقطاع الطرق والعبيد الهاربين من آسيادهم .. تصوَّر أنسيمس أنه سيعيش في روما سعيداً ولكنه شعر بخطئه وخطيئته وذنبه بل ذنوبه التي ارتكبها في حق سيده الرجل الطيب فليمون ، وكان شبح القبض عليه واعادته لسيده يطارده يوماً فيوماً وتتراقص

أمام عينيه الجلدات التى تترك فى جسمه عاهات مستديمة لا يمحوها الزمن ، والكي بالنار على جبهته " أحذر لص " مما يجعل الناس يحتقرونه أكثر فأكثر ، ولكنه كان يستبعد الصلب على شجرة لأن سيده فليمون ذو قلب طيب مملؤ حباً لسيده المصلوب ، ولذلك لم يخش سيده فليمون يقدر ما يخشي أبنه ارخبُس الذى يجرى فى عروقه دم الشباب فلابد أن يثأر لمال إبنه المسلوب .. وسط هذه الاضطرابات النفسية والشعور بالذنب والخوف من المستقبل التقى أُنسيمس العبد الهارب مع بولس الرسول .

ولكن من قاد أُنسيمس إلى بولس الرسول ؟

أ- ربما علم ابفرودتس الذى أسَّس كنيسة كولوسي ويعرف فليمون جيداً وبيته وعبيده بهروب عبده أُنسيمس ، وعندما جاء إلى روما جاب شوارعها يبحث عنه كراع يبحث عن الخروف الضال ، وقلبه يحدثه أن العبد الهارب هنا فى روما لا فى غيرها وعندما وجده قاده إلى ينابيع الخلاص إذ أتى به إلى أسير يسوع المسيح .

ب- ربما قد تكون برسيكلا امرأة أكيلا وجدته مطروحاً عند سلالم أحد المعابد الوثنية بعد أن بذَّر أموال سيده بعيش مسرف واحتاج إلى قوته فلم يجد فقادته إلى أسير يسوع المسيح .

حـ- ربما تحدث إليه أحد الأخوة المسيحيين وبشَّره بالمسيحية وربما رفض أُنسيمس هذه البشرى كما رفضها من قبل فى بيت سيده لأنه ينظر إليها كديانة ضعف وخنوع وتسامح مع الأعداء ، وديانة اكتفاء وقناعة تحرم الإنسان من الملذات الجسدية والمسرات ، وتلزمه بالانضباط فى كل شئ حتى فى الكلام . لكن هذا المبشر الصغير فقد نجح فى انتشال أُنسيمس من مستنقع الرزيلة والفساد والحياة البهيمية إذ سهل له طريق الوصول إلى الرب يسوع وقاده إلى بولس عبد يسوع الذى ألهب قلبه بمحبة المصلوب من أجله وجنَّده فى خدمة النفوس .

د- ربما يكون أُنسيمس قد التقى من قبل مع بولس الرسول وهو بصحبة سيده

فليمون فى أفسس ، وعندما جاء إلى روما سمع أن بولس الرسول أسير فيها فلجأ إليه لينقذه من الورطة التى سقط فيها ، ولاشك أن فليمون كان يصلى من أجل عبده الهارب ليهدي الرب طرقه إلى طريق الخلاص .

وذهب أنسيمس إلى البيت الذى يقيم فيه بولس الرسول تحت الحراسة ، فلقاه رجلاً قصير القامة ترتبط يده بيد الجندى الروماني بسلسلة حديدية ، وعيناه تشعان ببريق وكأنهما يكشفان خبايا قلبه ، ويحيط به فريق من المعاونين منهم تيموثاوس إبنه الصريح فى الإيمان ، ومرقس العامل معه ، وابفراس الذى حمل إليه عطايا أهل فيلبى ، وتيخيكس الذى أتى له بأخبار كنيسة أفسس ،ولوقا الطبيب الذى يهتم بصحته المنهكة ، وارسترخس الذى يلازمه حتى صار وكأنه أسير معه ، وتلميذه يسطس ، وأيضاً ديماس ذو القلب المتقلقل بين الأبدية والعالم الحاضر ، وكثير من اليهود واليونانيين وبعض رجال القصر . بل أن أكتافيا سيدة القصر الأولى زوجة نيرون إذ سمعت عنه من بعض رجال القصر كانت قد أتت إليه وصدقت وآمنت واعتمدت .

ورغم أن رجال الحرس الروماني يستثقلون جداً حراسة الأسرى وبالأخص من الفقراء أمثال بولس ، فلو كان الأسير رجل مجتمع غنى لهانت صحبته إذ يحكى للحارس عن أعماله وأسراره ولا مانع من إكرامه للحارس ، ولكن بعض رجال الحرس الذين رافقوا بولس ونالوا الإيمان والصبغة المقدسة على يده فإنهم يسعون إلى توفيق نوباتهم لكى يلتقوا مع أسير يسوع المسيح ، ولا سيما أن مدة انتظاره للمحاكمة قد طالت وقاربت السنتين ، لأن وثائق القضية قد غرقت مع السفينة التى كانت تقلهم ، وقد أرسلوا إلى قيصرية يطلبون وثائق جديدة . كما أن نيرون كان يؤخر اللقاء شهراً بعد شهر .

وتحدث بولس الرسول مع زائريه وعزاهم كثيراً بكلمات النعمة الخارجة من فيه حتى أحسوا أنهم قريبين من السماء واحبوا المسيح واشتاقوا للقائه ، وطال الحديث ، وأخيراً أنصرف الكثيرون وظل القليلين يعرضون عليه بعض تساؤلاتهم

وبعض مشاكلهم وهو يحتمل الكل ويصبر على الكل ، فإن قلبه الكبير الساكن فيه المسيح يسع العالم كله .. ظل أُنسيمس قابعاً فى مكانه وعاد بولس يُملئ تيخيكس بقية الرسالة التى سيحملها إلى أفسس بينما الآيات التى تمس فؤاد أُنسيمس تلمع أمام عينيه وتلمس شغاف قلبه وكأنها سيف يخترق مفاصل نفسه " إطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه . لأننا بعضنا أعضاء البعض . اغضبوا ولا تخطئوا . لا تغرب الشمس على غيظكم . ولا تعطوا إبليس مكاناً . لا يسرق السارق فى ما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصلح بيديه ليكون له ان يعطى من له احتياج .. فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجسٍ أو طماعٍ الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله .. اسلكوا كأولاد نور .. لا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبّخوها .. انظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء . مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة .. أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوفٍ ورعدةٍ فى بساطة قلوبكم كما للمسيح . لا بخدمة العين كمن يُرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب . خادمين بنيَّة صالحة كما للرب ليس للناس . عالمين أن مهما عمل كلٌّ واحدٍ من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً .. " .

اقترب أُنسيمس من بولس فتوقف عن الكلام وأدرك أن ذاك الشخص يخفى داخله ما لايريد أن يفصح عنه ، فداعبه بولس الحكيم بكلمات لطيفة ولاسيما أنه كما أدرك أن أُنسيمس يريد أن يبوح له باعتراف ولكنه يخشي ذاك الجندى الروماني .. طمأنه بولس موضحاً له أن هذا الجندى قد نال نعمة الإيمان..فاطمأن أُنسيمس وقدم اعترافه بصوت هامس والخزى يغطى وجهه ، ولنا أن نتصوَّر موقفاً مؤثراً كهذا :

أُنسيمس : سيدى رجل الله .. أنا عبد مارفليمون (مار= السيد) الكولوسي .

بولس : مرحباً بك يا ابنى .. كيف حال سيدك ؟

ثم يكمل : أننى مشتاق أن أراه ، فلا انسي صداقته الحميمة ولقاءاته الممتعة حيث

نال نعمة الإيمان بينما كنت أبشر في مدرسة تيرانس بمدينة أفسس .. ألم تكن أنت معه ؟ ألست أنت عبده النافع أنسيمس ؟

أنسيمس : نعم أنا أنسيمس ، ولكنى لم أعد نافعاً بل تركت سيدى فليمون .

بولس : هل اقتناك سيد آخر ؟

أنسيمس : كلا سيدى .. أنى حلمت بالحرية والحياة فى روما .. سلبت بعض أموال سيدى الطيب فليمون وهربت وجئت إلى هنا ابحث عن السعادة وللأسف لم أجد إلاَّ الألم والشقاء ووخز الضمير الذى كاد يقتلنى .. أنا عبد لص هارب ليس لى إلاَّ الموت صلباً على جزع شجرة .

بولس : ولكن سيدك صُلِب عنك .

أنسيمس (ينظر بدهشة) : ماذا ؟! هل صُلِب سيدى فليمون ؟!

ومن الذى تجرأ على صلب ذاك القديس ؟!

بولس : كلاً .. لم يصلب سيدك فليمون ولكن الذى صلب هو سيد فليمون سيدى يسوع المسيح إبن الله الحي .. صار عبداً لأجلى وأرتضى أن يُصلب نيابة عنى أنا أول الخطاة وعنك يا أُنسيمس وعن كل خاطئ ذليل .

أنسيمس : أتقصد أن لي خلاصاً من خطيتى الجسيمة ؟! هل لى رجاء ؟! .. أننى أفضل أن ألقى بنفسي فى بالوعة المدينة التى تصب فى نهر التيبر مع جثث القتلى لعل الأسماك تستفيد بجسدى الشرير ، واستريح تماماً . فأنت تعلم ياسيدى أن العبد ليس له روحاً كبقية الأحرار .

بولس : من علّمك هذا يابنى ؟

أنسيمس : هذا ما تعلمته منذ حداثتى ، ولهذا فإن الإله أبوللو يتضايق جداً لو وجد عبداً فى معبده .

بولس : كلا يا أُنسيمس ..إن ابوللو ليس إلهاً ، أما أنت فإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله لك روح خالدة لا تفنى ولا تضمحل. بالخطية تنفصل تلك الروح

عن جابلها وفاديها وبالتوبة تعود إليه ، وأىُّ إنسان لا يخطئ ؟ وأى مولود امـرأة لا يسقط ؟ حقاً أن البار يسقط سبع مرات ويقوم .. لقد خالف أبونا آدم إلهـه الصـالح فأراد أن يختفى وراء شجر التين ، ولكن إلهنا الصالح افتقده بمحبتـه فـى محنتـه ، وأرسل إبنه فدية عنه فصنع خلاصاً هذا مقداره بصليبه على جبل الجلجثة بأورشـليم ، وهو مازال يفتقد كل خاطئ ضال .. هرب يونان من إلهه الصالح الـذى لا يشـاء موت الخاطئ مثل أن يرجع وتحيا نفسه ، ولكن إلهنا الصالح أرسل له حوتاً ابتلعـه وأعاده إلى جادة الصواب ، وهوذا الله قد دبَّر أمر لقائك بى حتى أقودك إليه ..

يا أنسيمس يا ابنى أنت لم تفعل ما فعلته أنا .. آه .. كم اضطهدت كنيسته بإفراط ؟! .. كم أذقت أولاده العذاب أشكالاً وألواناً ؟! ..

كيف كنت واقفاً عند رجم استفانوس رئيس الشمامسة بجوار ثياب الراجمين وكنـت راضياً بقتله ؟! ..

كيف كنت ألقى القرعة بينهم لتقع على من ينبغى أن يقضى نحبه ؟!

حتى كنت فى طريقي إلى دمشق لكى أقبض على أولاده وأسوقهم إلى أورشـليم ، ولكنه كان يتتبع خطواتي ويقف أمامى بالمرصاد ، وفجأة ابرق بنوره القوى ومـن يستطيع الوقوف ؟! .. سقطت على وجهى وسمعت صوته الحاني يهزنى : " شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ صعب عليك أن ترفس مناخس ".. لقد افتقدني ياأنسـيمس .. غمرني بحبه ، واختارني إناءاً مختاراً لأحمل اسمه بين ملوك وولاة ، وارسـلنى بعيداً إلى الأمم .. حقاً كنت الخروف الضال وهو الراعى الصالح.. كنـت الابـن الضال وهو الأب الحنون.

وأشار بولس الرسول إلى لوقا الطبيب الذى أقترب منه فقـال لـه : يالوقـا ياحبيبى قصَّ على الأخ أنسيمس ما قاله الرب يسوع عن الخروف الضال والابن الضال والدرهم المفقود .. فحكى لوقا بكل جوارحه قصة الابن الشاطر الذى عـاد إلى أبيه بعد أن بذَّر ماله بعيش مسرف مع الأشرار والزوانى ، وكيف كانت فرحة

اللقاء وسعادة الأب ..

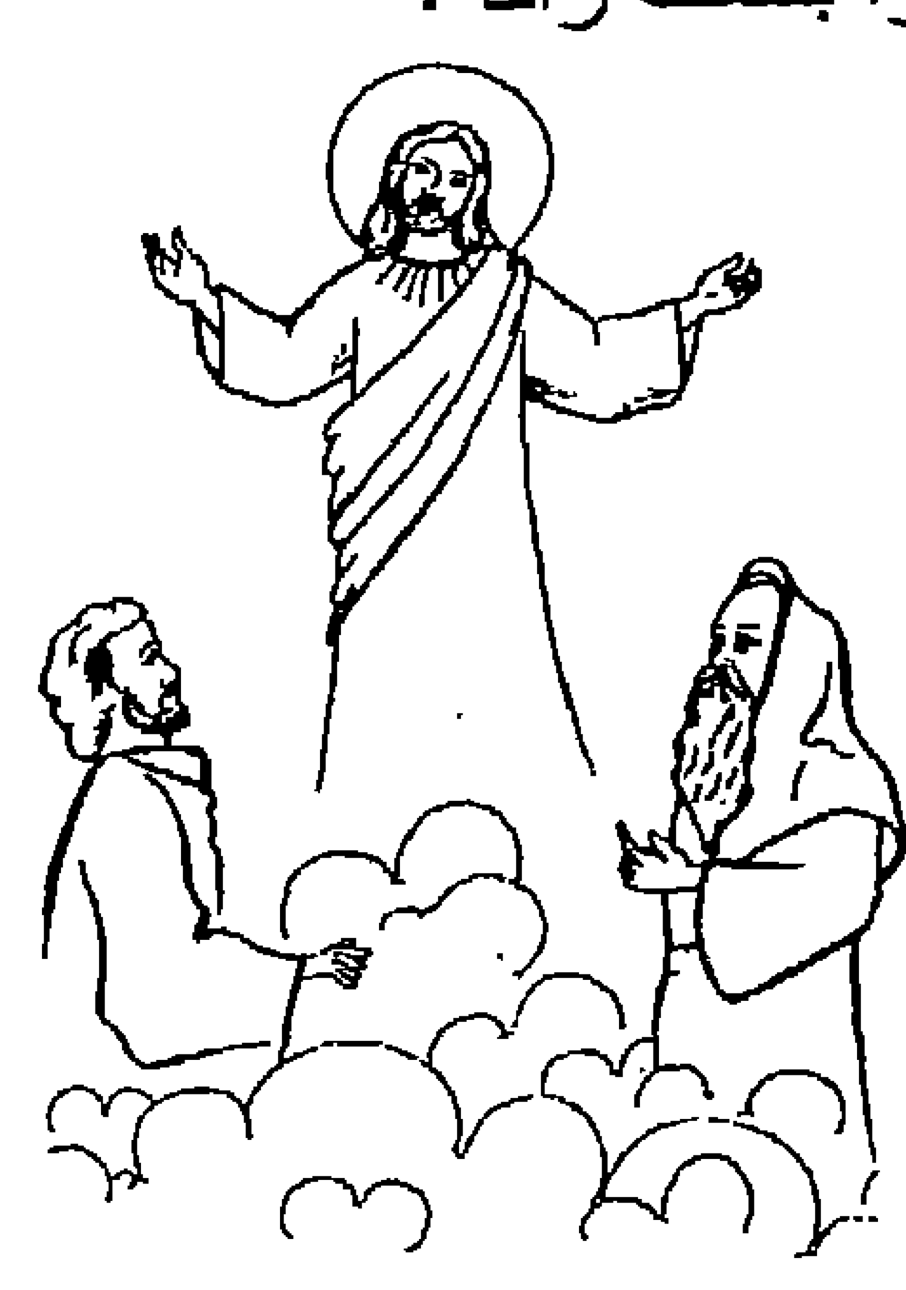
وبدأ نور الأمل يشرق على نفس أُنسيمس المأسورة ، وانتعشت روحه ففاضت دموعه ..ضمه بولس إلى صدره بحنان بالغ لم يتذوقه أُنسيمس قط من قبل ، وطال الحديث حتى وُلِد ضوء الفجر ومعه وُلِد أُنسيمس من جرن المعمودية إنساناً جديداً فرح به بولس والجندى ومن معهما وفرحت به السماء ، وجاءت الوصية كالرعد تهز كيانه كل كيانه : "ياإبنى يا من ولدتك فى قيودى كن شاهداً لمسيحك إلى النفس الأخير"

تغيَّر قلب أُنسيمس وتبدلت حياته كلية فصارت مسالكه مستقيمة ، وتقدم لخدمة ابيه الروحي بكل غيرة ونشاط وحب وإخلاص واضعاً كل قوته الجسدية فى خدمة سيده شاعراً أنه مدين له بنفسه وحياته وكل شئ .. لقد صار الغير النافع نافعاً ، والغير أمين أميناً ، وجندي الشيطان صار جندياً صالحاً فى جيش الخلاص ، وقام بولس الرسول برسمه شماساً (بحسب قول القديس ايرونيموس) .

ورغم احتياج بولس الرسول إلى أُنسيمس إلاَّ أنه فضل عودته إلى سيده ليُصلح غلطته ، وأيضاً لكيما لا يكون الخير الذى يقدمه فليمون على سبيل الاضطرار . أما أُنسيمس الذى تعود الطاعة منذ إيمانه فأطاع لوقته وبدأ رحلة العودة من روما إلى كولوسي .. ثار عدو الخير عليه ، وأخذ يتلاعب بالصور المزعجة أمام عينيه . تارة يرى نفسه مقيَّداً بالسلاسل يعمل فى الحقل بلا راحة ولا هوادة فى مذلة وخنوع .. تارة يرى نفسه يحبو لأن الجلدات قد حطمت عظامه وتركته بائساً فى عاهاته .. تارة يريد أن يخلص من جبهته التى نقش عليها بالنار علامة اللصوصية .. تارة يرى نفسه مطروحاً مصلوباً على جزع شجرة عتيقة ، وفى كل هذا صوت عدو الخير يصرخ فى آذانه .. كيف تترك خذمتك ؟! ومن سيخدم سيدك بولس عوضاً عنك ؟! وهل أنت واثق أن قرار العودة قرار صائب ؟! ، ولكن أُنسيمس واجه الأسد الزائر بقلب أسد إذ تيقن أن سيده المسيح غلب الموت وقام وانتصر فليكن ما يكون .. أنه هو المسئول عن كلمته ليجريها ، وعن خدمة

عبده بولس ليدبرها .. لقد ثبَّت وجهه تجاه كولوسي وتقدم فى طريقه بلا تراجع ، والشيطان ألذى نجح فى غوايته فى المرة الأولى فشل فى المرة الثانية .. لماذا ؟ .. لأنه فى المرة الأولى كان أُنسيمس يسير وحيداً بلا مسيح . أما فى هذه المرة فالمسيح القائم معه يمثل سور نار حوله ومجداً فى داخله وضاماناً لعهد أفضل ، فخزى إبليس وانطفأت كل سهامه الملتهبة ناراً ، ومما لاشك فيه أن صديقه تيخيكس كان مصدر عزاء وتسلية له طوال الطريق ، والكنوز التى يحملانها تلقيان بالمسئولية على عاتقهما .

وأخيراً وصل أُنسيمس إلى كولوسي وقصد مقاطعة فليمون إلاَّ أنه خجل أن يدخل بيت سيده فجلس خارجاً وترك صديقه تيخيكس يدخل .. دخل تيخيكس بيت فليمون ولم يخشَ أن يبرح أُنسيمس مكانه ويهرب ثانية ، فبعد أن عرف سيده المُقيَّد من أجله لم تعد القيود تخيفه ولا الموت يزعجه .. خرج فليمون السيد إلى أُنسيمس العبد .. التقى الوجهان .. وجه السيد الصالح مع وجه العبد الهارب .. سجد العبد إلى الأرض طالباً الصفح والمغفرة من سيده ليس خوفاً من عقابه ولكن طمعاً فى رضائه .. تأمله فليمون بنظرات فاحصة وإذ هو ليس بأنسيمس العبد اللص الهارب . إنما شعر أنه إنسان جديد سفير عن بولس الرسول فارتاح قلبه وانفرجت أساريره وضمه إلى صدره وادخله إلى بيته . وإذ سلمه أُنسيمس رسالة الأسير فضها لتوه وبدأ يقرأ بشغف زائد :





ويمكن تقسيم هذه الرسالة كالآتي :

أولاً : نعمـــة وســـلام (١-٧)

ثانياً : التماس للصفح والوئام (٨-٢١)

ثالثاً : طلـــب وختـــام (٢٢-٢٥)

أولاً : نعمة وسلام (١-٧)

"١بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فليمون المحبوب والعامل معنا ٢ وإلى ابفيَّة المحبوبة وارخبُّس المتجنّد معنا وإلى الكنيسة التى فى بيتك ٣ نعمة لكم وســلام مــن الله أبينا والرب يسوع المسيح ٤ أشكر إلهي كلَّ حين ذاكراً إيَّاك فى صلواتـــي ٥ ســامعاً بمحبتــك والإيمان الذى لك نحو الرب يسوع ولجميع القديسين ٦ لكي تكون شركة إيمانك فعَّالة فى معرفة كل الصلاح الذى فيكم لأجل المسيح يسوع ٧ لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزيــة بســبب محبَّتــك لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيُّها الأخ " (١-٧) .

هذه الرسالة ولو أنها رسالة شخصية إلاَّ أنها تتبع نفـــس أسـلوب الرســائل الكنسية التى كتبها معلمنا بولس للكنائس المختلفة ، ولذلك بدأت الرســـالة بكــاتب الرسالة ثم المكتوب إليهم والتحية ثم جوهر الموضوع وأخيراً الختام .

" بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فليمـــون المحبــوب والعــامل معنا " (١)

فى هذه الآية نجد معنى جميل للأخوة التى صنعها الرب يسوع بعــد أن قتــل العداوة المستحكمة بين اليهود والأمم ، ففى هذه الآية نقف أمام ثــلاث شــخصيات الأولى شخصية بولس الذى كان يهودياً متعصباً لا يطيق كل ما هو أممى ، والثالثة فليمــون الأممي الذى كان بلا شك يبغض اليهود ، أما الشخصيــة الثانيــة فهــو

تيموثاوس ابن المرأة اليهودية والرجل الأممي ، ففى المسيح يسوع اختفت كل حواجز ومُحيت كل عداوة .

بولس أسير يسوع المسيح .. أليس بولس رسولاً ؟ بلى .. إذاً لماذا لم يذكر صفته الرسولية هنا ؟

١- لأنه لا يوجد هنا من يشكك فى رسوليته .

٢- لئلا يظن فليمون أنه يستخدم سلطانه الرسولي ليلزامه بالصفح عن عبده الهارب وإعادته إليه .. لقد فضل معلمنا بولس إستخدام سلطان الحب ، ولذلك فضل أن يذكر أنه " أسير " لكيما يحنن قلب فليمون ويثير شفقته وعطفه ليس لأجل مصلحة شخصية ولا منفعة ذاتية بل لأجل عبده الهارب ، وكأنه يريد أن يقول لفليمون أن ما أطلبه منك بشأن أُنسيمس إبنى لا يساوى شيئاً بجوار ما احتمله من أجل الرب يسوعَ ، وإن كان أُنسيمس عبداً فأنا أسير إذاً فنحن الأثنان متساويان .. ألا تشفق عليَّ وعليه ؟!

بولس أسير يسوع المسيح .. لقد أشار معلمنا بولس إلى اسره وقيوده عدة مرات فى رسائله التى حرَّرها فى سجنه ، وفى رسالته القصيرة هذه يشير إلى ذلك خمس مرات :

١- " بولس أسير يسوع المسيح " (ع١)
٢- " أسير يسوع المسيح (ع٩)
٣- " فى قيودى " (ع١٠)
٤- " قيود الإنجيل " (ع١٣)
٥- " المأسورمعي " (ع٢٣)

وفى رسالته إلى أفسس ذكر أنه " *أسير* " مرتين (أف٣: ١، ٤: ١) و" *سفير فى سلاسل* " *(أف٦: ٢٠)* وفى رسالته إلى فيلبى قال " *وثقى* " اربع مرات (فى١: ٧، ١٣، ١٤، ١٦) وفى رسالته إلى كولوسي قال " *مُوثَق* " *(كو٤: ٣)* و " *اذكروا وثقى* " *(كو٤: ١٨)* ولم يدع بولس نفسه قط أسير روما ولا أسير الإمبراطور وتحت تصرفه وأذنه ، لأنه كان ينظر إلى ما وراء روما وما هو أعلى من الإمبراطور .

كان نظره مثبتاً تجاه سيده المصلوب مدبر كل الأمور وضابط الكل [راجع تفسير هذه الآيات ودلالتها في مواقعها] .

ولعل هذا الأسر كان مدعاة لافتخار كاروز الأمم الذى ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبع مسيحه بنفس راضية . بل أنه ينظر لهذه الآلام كهبة وعلامة محبة إلهيّة ولذلك كتب لأهل فيلبي *" قد وُهِب لكم .. أن تتألموا من أجله " (في١: ٢٩)* وبينما هو فى الجسد أسير متألم فهو يملك روح حرة طليقة تُحلّق إلى عنان السماء كما رأينا فى الرسالة إلى أفسس ، وأيضاً بينما هو موثق ومقيد فإنه يكرز ويبشر بكل مجاهرة لأن كلمة الإنجيل لا تُقيَّد .

وتيموثاوس الأخ .. رغم أن تيموثاوس هو تلميذ بولس الرسول وإبنه الروحي لكنه يدعوه هنا بالأخ ، ورغم فارق السن بينهما فإنه يساويه بنفسه *" لأنه (تيموثاوس) يعمل عمل الرب كما أنا أيضاً " (اكو١٦: ١٠)* .. لقد أخذ معلمنا بولس الرسول الدرس من الكنيسة الأولى عندما التقى لأول مرة مع حنانيا الذى قال له *" أيها الأخ شاول " (أع٩: ١٧)* فوعى هذا الدرس ومارسه ، ومع أن كاتب الرسالة هو بولس الرسول بمفرده لكنه يشرك معه تلميذه تيموثاوس وكأن الإثنان هما اللذان خطا الرسالة معاً .. أنها محبة بولس التى ترفع مستوى تلميذه إلى مستواه .

تيموثاوس هو الابن الصريح فى الإيمان (اتي١: ٢) وهو الابن الذى تتلمذ على يد أبيه الروحي *" هذه الوصيّة أيها الإبن تيموثاوس استودعك إياها " (اتي١: ١٨)* وهو الإبن الذى دعاه لكيما يتقوى بالنعمة فى المسيح يسوع (٢تي٢: ١) وهو الذى أرسله ليثبت المؤمنين فى أماكن كثيرة ولا سيما أفسس التى سيم عليها أسقفاً ، وإلى أعماله وتعبه وصبره ومقاومته لبدعة النيقولاويين أشار سفر الرؤيا (رؤ٢: ١-٧) .. ولعل معلمنا بولس أضاف بحكمة إسم تيموثاوس الذى غالباً كان معه فى أفسس عندما آمن فليمون وذلك ليعطى ثقلاً أكثر لوقع الكلام فى نفس فليمون .

إلى فليمون المحبوب والعامل معنا .. ماذا يمثل فليمون بالنسبة لبولس الرسول ؟

أنه المحبوب من الله ،.فهو يحفظ وصاياه ..المحبوب من بولس وتيموثاوس ، فهو شريكهما فى الخدمة الروحيَّة ..المحبوب من أسرته التى يخدمها بكل أمانة.. المحبوب من شعبه الذى يخدم كل فرد فيه بكل حب وأمانة ، وبما أنه محبوب فيجب أن يغدق من حبه هذا على عبده المسكين الذى أغوته الحيَّة القديمة وطرحته فى غياهب العصيان وللسلب والهروب..أنه **العامل** فى خدمة المسيح فيجب أن يخدم عبده الخاطئ ، وكما يُعلِّم شعبه أن الله سامحنا فى المسيح يسوع هكذا يجب أن يسامح عبده .

ومن الجانب الآخر : ماذا يمثل بولس الرسول بالنسبة لفليمون ؟ أنه يمثل الأب الذى ولده فى الإيمان .. فهل يقدِر فليمون أن يعصاه ؟! أنه يمثل المعلم الذى علمه طريق الملكوت .. فهل يقدِر فليمون أن يخالفه ؟! أنه يمثل القدوة والمثل فهو القائل ***" تمثلوا بي كما أنا أيضاً بالمسيح " (اكو ١١ : ١)*** .. فهل يقدِر فليمون ألاَّ يكون مثله ؟! أنه يمثل الصديق والشفيع الأمين .. فهل يقدِر أن يرفض وصاياه ؟!

" وإلى أبفيَّة المحبوبة وأرخبُّس المتجنِّد معنا وإلى الكنيسة التى فى بيتك " (ع٢)

رغم أن هذه الرسالة شخصية فهى أيضاً رسالة أسرية ، فجاءت التحية شاملة لفليمون وأهل بيته ، ولعل معلمنا بولس بحكمة كان يرمي بهذا إلى هدف بعيد ، إذ يصبح قرار الصفح عن العبد الهارب ليس قراراً فردياً يتخذه فليمون بمفرده ، إنما قراراً جماعياً يشارك فيه كل أفراد الأسرة جميعاً حتى لا يكون هناك إنقساماً فى الرأى فى البيت الواحد .

وإلى أبفيَّة المحبوبة .. جاء اسم أبفيَّة بعد إسم فليمون فى إشارة واضحة إلى أنها زوجته . كما نلمس وجود إسمها وهى سيدة بين رجلين لأن روح المساواة تتجلى فى المسيحية ***" ليس ذكر وانثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع " (غل٣: ٢٨)*** .. لقد فتحت أبفيَّة قلبها وبيتها لأهل كولوسي ، وصارت هذه السيدة الغنية أماً رحومة للفقراء والأيتام والمعوزين فهى محبوبة من الجميع ، وبسبب خدمتها هذه

صارت محبوبة من الرب يسوع وملائكته وقديسيه .

وإلى أبفيَّة المحبوبة .. لفظة " المحبوبة " لا تعيب أسلوب بولس الشيخ في شئ ، فهو يحمل مشاعر الأخوة والحب المقدس لكل أولاده رجالاً ونساءاً .علاوة على أن الكلمة وردت في ترجمات أخرى وكذلك في حاشية الكتاب المشوهد بمعنى " الأخت " ، وسواء كانت هي محبوبة فهي أخت أو كانت أخت فهي محبوبة .. أنها الأخت المحبوبة من الكل . أنها مساوية لكيرية (السيدة) المختارة التي كتب لها معلمنا يوحنا الحبيب إذ فتحت بيتها للقديسين واستضافت خدام المسيح وخدمتهم وربّت أولادها في الحق ، وهي مساوية لـ*"برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب" (رو١٦: ١٢)* وبرسيس هذه كانت أختاً عجوز لم تعد قادرة على الخدمة ، ولكن معلمنا بولس الأمين لا ينسي محبتها وخدمتها وتعبها الكثير السابق من أجل الرب.

وارخبُّس المتجند معنا .. ارخبُّس هو ابن فليمون وأبفيَّة ، وغالباً كان فارساً في الجيش الروماني ، وقد وصفه معلمنا بولس بصفة مرتبطة بوظيفته إذ قال عنه " المتجند معنا " لأنه حمل مشعل الكرازة إلى وادى ليكوس فصار شريكاً لبولس وتيموثاوس وفليمون في خدمة الإنجيل .. أنه جندى صالح للرب يسوع مثل ابفرودتس الذى قال عنه بولس " *ابفرودتس أخي والعامل معي والمتجند معي رسولكم والخادم لحاجتى" (في٢: ٥)* .. أنه فارس همام خاض معارك التحرير باسم الرب يسوع ضد قوات الظلمة ، وما اشرسها من معارك *" فإن مصارعتنا ليست من دم ولحم مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحيَّة في السماويات " (أف٦: ١٢)* .. أنه جندى صالح شارك في احتمال مشقات الكرازة والخدمة ولم يعد يرتبك بأمور هذه الحياة (٢تي٢: ٣،٤) .. أنه الخادم الذى قبل وصية من معلمه بولس عن طريق شعبه أهل كولوسي *" قولوا لأرخبُّس أنظر إلى الخدمة التي قبلتها من الرب لكي تتممها " (اكو٤: ١٧)* أنه يحفزه ويشجعه على الخدمة.

وإلى الكنيسة التي في بيتك .. الأسرة المسيحية التي تتكوّن بسر الزيجة

المقدس هى كنيسة صغيرة تشمل الزوج المؤمن الذى هو مثال المسيح والزوجة المؤمنة التى هى الكنيسة ، وفى الأسرة يقدم الزوج الحب مثال المسيح الذى أحب الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، وتقدم الزوجة الطاعة والخضوع كمثال للكنيسة الخاضعة للمسيح ، وأيضاً تضم الأسرة الأولاد كعطية من الرب ..هذه الأسرة هى كنيسة لأن المسيح قائم فى وسطها يضم أولاده فى صلواتهم ، ويقوتهم بجسده ودمه، وبروحه القدوس الساكن فيهم يهبهم المواهب الروحيَّة لأجل نموهم الروحي ، ولأن الأسرة المسيحية هى كنيسة المسيح لذلك لا يليق بها الصوت المرتفع ولا الألفاظ الخارجة التليفزيونية ولا العناد والمشاحنات ولا التسلية بأخبار الناس ..إلخ من الأمور السلبية بل يليق بها الحب والسلوك فى الفضيلة وحياة التسبيح وكل ما هو للبنيان .

وإلى الكنيسة التى فى بيتك .. لقد فتح فليمون بيته فعلاً لإجتماع المؤمنين من أهل كولوسي لإقامة الاجتماعات الروحية والقداسات وموائد الأغابى فصار بيته كنيسة ، ولا سيما أنه فى العصر الرسولي لم تكن الكنائس مبانى منفصلة إنما انتشرت فى بيوت المؤمنين ، فهوذا بيت فليمون يمثل كنيسة كولوسي ، وبيت نمفاس يمثل كنيسة لاودكية" ***سلموا على الأخوة الذين فى لاودكية وعلى نمفاس وعلى الكنيسة التى فى بيته " (كو٤: ١٥)*** وبيت أكيلا يمثل كنيسة فى روما" ***سلموا على بريسكلاً وأكيلا .. وعلى الكنيسة التى فى بيتهما " (رو١٦: ٣،٥)*** .. لقد غادر فليمون أرضنا منذ زمن بعيد ولكن سيرته ستظل خالدة طالما هناك حياة تدب على وجه الأرض ، وستظل الأجيال تمدح فليمون الذى فتح بيته كنيسة لشعب الله وسخَّر كل إمكاناته لخدمتهم .

" نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح " (٣)

النعمة هنا تشمل جميع النعم والهبات الإلهيَّة المجانية لمن لا يستحقها ، ويقول قداسة البابا شنودة الثالث " النعمة هى معونة إلهيَّة ، هى عطية مجانية يهبها الله للإنسان يسند بها إرادته الضعيفة وطبيعته المائلة ، واحتياجه الدائم . كل ما ينعم

به الله على الإنسان هو عمل النعمة . وقد تكرَّرت عبارة النعمة كثيراً فى رسائل القديس بولس الرسول : فى بدايتها أو نهايتها أو فى كلتيهما " [٢] وسلوك الإنسان فى نعمة الله يهبه السلام ، أى الهدوء الروحي والإطمئنان والأمان والسكينة .. وهل بدون نعمة الله يستطيع الإنسان أن يقطع طريقه للملكوت ؟

أنه أمر مستحيل استحالة حياة الطفل الوليد وحيداً بعيداً عن أمه.. نعمتك ياربي هى التى تربيني وتعلمني وترشدني وتدربني وتتغاضي عن خطاياي وتدفعني للتوبة .. أما سلامك فهو الذى يعطى حياتي مذاقه ومعنى ، وهذه النعمة وذاك السلام نابعتان من محبة الله الآب الذى سرَّ أن يرسل إبنه ليفدينا من موت اللعنة ، وبالفداء حصلنا على النعمة بواسطة الروح القدس ، وهذا المعنى يؤكده الأب الكاهن فى صلوات الليتورجيا " محبة الله الآب ونعمة ربنا يسوع المسيح وشركة وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم " .

والنعمة والسلام عطيتان عظيمتان يهبهما الله لفليمون وأهل بيته بفم أبينا بولس الرسول ، وبذلك فإن طلب معلمنا بولس من فليمون بالصفح عن عبده لا يساوى شيئاً مقابل تيلك العطيتان العظيمتان ، وإن كانت نعمة الله قد سامحت فليمون بعشرة آلاف وزنة أعسير عليه أن يسامح عبده بوزنات قليلة ؟! .. كلاَّ لأن النعمة التى حازها فليمون تسهل عليه طريق التسامح والمغفرة .

" اشكر إلهي كلَّ حين ذاكراً إيَّاك فى صلواتي . سامعاً بمحبتك والإيمان الذى لك نحو الرب يسوع ولجميع القديسين " (٤، ٥)

اشكر إلهى كلَّ حين .. لماذا يشكر بولس الرسول إلهه ؟

أولاً : لأنه سمع بمحبة وإيمان فايمون إبنه فى الإيمان وشريكه فى الخدمة ، فنجاح أخوتنا يدفعنا لشكر الله وتمجيده ، وفشلهم يدعونا للصلاة من أجلهم بلجاجة .

---

[٢] النعمة " قداسة البابا شنودة الثالث صـ ١٠ .

ثانيا : لأن معلمنا بولس تدرب على حياة الشكر فى كل حين ، وكان يوصي أولاده لكيما يعيشوا حياة الشكر فى جميع الظروف والأحوال فيقول لأهل تسالونيكي *" أشكروا فى كل شئ " (اتس٥: ١٨)* وحتى وهو فى سجنه يقول لأهل أفسس *" شاكرين كل حين على كل شئ " (أف٥: ٢٠)* [راجع تفسير رسالة أفسس صـ٢٨٠-٢٨١] ولأهل فيلبى *" اشكر إلهي عند كل ذكرى إيّاكم " (في١: ٣)* [راجع تفسير رسالة فيلبي صـ٣٧،٣٨] ولأهل كولوسي *"نشكر الله وابا ربنا يسوع المسيح كل حين مصلّين لأجلكم " (كو١: ٣) ، " كونوا شاكرين " (كو٣: ١٥)* [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ٢٨،٢٩،١٥٧] .

أشكر إلهي كلَّ حين .. ما أسهل الشكر ياأحبائى عندما ينقذنا الله من المخاطر التى نبصرها ، وما أسهل الشكر فى المناسبات السعيدة ، ولكن ما أصعب الشكر فى المواقف الصعبة وبالأخص التى لا ندرك فيها إرادة الله الصالحة ، ولذلك فإننا فى إحتياج أن نتدرب ونتدرج فى حياة الشكر ، وفى إحتياج أن ندرب أولادنا على حياة الشكر عندما نعلّمهم أن كل العطايا والمواهب هى من الله المحب ، وفى المواقف الصعبة نكشف لهم عن الجانب المضئ وقصد الله الصالح ومحبته لنا التى تفوق محبة الأم لرضيعها .

أشكر إلهي كلَّ حين .. ينسب معلمنا بولس الله لنفسه ، فهو إله الكل ولكنه إلهي أنا خاصة ؛ فهناك علاقة شخصية وخاصة جداً بينى وبينه ، وحياة الشكر تدخل ضمن هذه الحياة الخاصة ..أننى أشكره لأننى أؤمن بمحبته الفائقة لي فلو سمح لي بالتجارب والبلايا والأمراض والأحزان فهذا بلا شك لفائدتى وخيرى ، فإننى أعلم أنه يهب الصحة لإنسان ليسهل له طريق الملكوت ، ويسمح بالمرض لآخر لأن هذا هو طريقه للمجد والملكوت ، وحياة الشكر تمنحنى حياة الرضي والتسليم وتطرد شيطان التذمر عنى ، وحياة الشكر تبعدنى عن الأمراض والعقد النفسية ، وحياة الشكر تبارك فى القليل وتنمى المواهب كقول أحد الأباء " ليست

عطية بلا زيادة إلاَّ التى بلا شكر".

ذاكراً إيَّاك فى صلواتي .. رغم آلام بولس فى أسره ومتاعبه فى سجنه ورغم السلسلة التى تقيِّده فإنه لا ينسي الآخرين ، وحتى فى سجنه الثاني الذى كان أشد قسوة من سجنه الأول لم ينقطع عن ذكر أولاده والصلاة من أجلهم فأرسل إلى تلميذه تيموثاوس يقول له "*أنى أشكر الله الذى أعبده من أجدادى بضمير طاهر كما أذكرك بلا إنقطاع فى طلباتى ليلاً ونهاراً " (٢تى١: ٣)* .. أنه يتمثل بالمصلوب الذى فى لحظات موته لم ينسي أمه .

ذاكراً إيَّاك فى صلواتى .. لقد حصل فليمون على خلاص نفسه عن طريق بولس الرسول ، والآن يتمتع بصلواته التى تظلل عليه ، وبالتالى فإن استجابته لطلب معلمه بولس بالصفح عن عبده الهارب ما هو إلاَّ إيفاء لدين عليه .

سامعاً معاً بمحبتك .. هنا يظهر اهتمام الراعى برعيته ، فبولس الرسول رغم مشاغله الكثيرة يهتم بفليمون ويتتبع أخباره لكيما يطمئن عليه ربما من ابفراس الذى أسَّس كنيسة كولوسي وربما من أُنسيمس ، فقيود بولس لم تنجح فى صرف بولس عن أولاده ، والسجن لم ينجح فى إصابة هذا الحب الأبوي بالفتور .

سامعاً بمحبتك والإيمان الذى لك نحو الرب يسوع ولجميع القديسين .. هذه الرسالة تظهر محبة فليمون لأخوته وخدمته لهم وقد فتح لهم قلبه وبيته ، وإن كان معلمنا بولس ذكر فى رسالتا أفسس وكولوسي الإيمان قبل المحبة" *إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين " (أف١: ١٥)* " *إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع ومحبتكم لجميع القديسين " (كو١: ٤)* فإننا نجده هنا يذكر المحبة قبل الإيمان ، فعندما ذكر الإيمان أولاً ثم المحبة فإنه ذكر المقدمة أو الأساس أو الجذور أولاً ثم ذكر النتيجة أو المبنى أو الثمرة ، وهنا عندما ذكر المحبة أولاً ثم الإيمان فإنه ذكر النتيجة أو المبنى أو الثمرة قبل المقدمة أو الأساس أو الجذور، فالمحبة هى برهان الإيمان ، و**المحبة هى الإيمان العملى** ، ويمكن دمج المحبة

والإيمان فى مسمى واحد وهو" الإيمان العامل بالمحبة " الذى كان يتمتع به فليمون فأحب الله من كل قلبه ، ومن هذه المحبة نبعت محبته للآخرين ، وفى هذه الآية نجد المحبة مرتبطة بجميع القديسين والإيمان مرتبط بالرب يسوع .

" لكي تكون شركة إيمانك فعَّالة فى معرفة كل الصلاح الذى فيكم لأجل المسيح يسوع " (٦)

لكي تكون شركة إيمانك فعَّالة .. س : ما هو المقصود بشركة إيمانك ؟

أ- إشتراك فليمون مع بولس الرسول فى نشر نور الإنجيل فى مدينة كولوسي كما شارك أهل فيلبى فى هذا وأشاد بهم معلمنا بولس قائلاً "***أشكر إلهي عند كل ذكرى إيَّاكم .. لسبب مشاركتكم فى الإنجيل من أوَّل يوم إلى الآن " (في١: ٣،٥)***

ب- الإيمان المشترك الذى يؤمن به بولس الرسول وفليمون ويقود إلى حياة الصلاح مثلما قال لتلميذه "***تيطس الإبن الصريح حسب الإيمان المشترك " (تي١: ٤)*** ومثلما قال لأهل رومية "***لنتعزى بينكم بالإيمان الذى فينا جميعاً إيمانكم وإيماني " (رو١: ١٢)*** ، ومثلما يقول لنا معلمنا بطرس الرسول " ***الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا " (٢بط١:١)*** .

حـ- الترجمة العملية للإيمان . أى ما أظهره فليمون تجاه الآخرين ليس فى الخدمة الروحية فقط من وعظ وإرشاد وخلافه ، بل من أعمال الرحمة أيضاً ، فقد كسي العريان وأطعم الجوعان وأغاث الملهوف وطبق الآية " ***فرحاً مع الفارحين وبكاء مع الباكين " (رو١٢: ١٥)*** فمشاركة الآخرين وحمل الصليب معهم تهب العقل البصيرة الروحيَّة ، وعندما يخدم الإنسان إنسان آخر محتاج أو أسرة فقيرة بإخلاص وأمانة فلابد ان يرى وسطهم المسيح قائماً يتقبل ويبارك خدمته و " ***من يزرع البركات فبالبركات أيضاً يحصد " (٢كو٩: ٦)*** .

شركة إيمانك فعَّالة فى معرفة كل الصلاح الذى فيكم .. هذه الطلبة مرتبطة بصلاة معلمنا بولس فى الآية الرابعة " ذاكراً إياك فى صلواتي .. لكيما تكون

شركة إيمانك فعَّالة " فبولس الرسول صلى من أجل فليمون لكيما تكـون شـركة إيمانه فعَّالة ، أى يكون له الإيمان العامل بالمحبة الذى فيه تتلخص الحياة المسيحية ككل والتى تنتقل للآخرين بالتأثير ، فعندما يرى الآخرون سلوكنا الصحيح حينئـذ يعلمون إيماننا القويم .. لقد صلى معلمنا بولس من أجل أولاده فى أفسـس لكيمـا تكون لهم المعرفة الحقيقية " ***كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته " (أف١ : ١٧)*** ومن أجل أولاده فى فيلبى " ***وهذا أصليه أن تـزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم " (في١ : ٩)*** ومن أجـل أولاده فـى كولوسي " ***لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمـة وفهم روحي " (كو١ : ٩)*** وهنا يصلى من أجل فليمون لكيمـا تكـون لـه المعرفـة الحقيقية للصلاح .

فى معرفة كل الصلاح الذى فيكم لأجل المسيح يسوع .. الصلاح الذى "فيكـم" وفى ترجمات أخرى وأيضاً فى حاشية الكتاب المشـهود الـذى " فينـا " ، ففـى الماضى لم نرث من أبينا آدم غير الطبيعة الفاسدة التى لا تعرف الصلاح ، ولكـن بالمسيح يسوع نلنا الطبيعة الجديدة الصالحة ، فالرب يسوع هو مصدر كل صـلاح فينا ، وكل صلاح فينا هو نابع من صلاح مخلصنا الصالح ، ونحن نفعل الصـلاح من أجل إسمه القدوس ، فالدافع والهدف من كل عمل صالح هو الرب يسوع ذاته ، والمعرفة تسبق العمل ، فالإنسان يعرف ثم يعمل الصلاح ، وأيضاً مـن الجـانب الآخر من يعمل الصلاح تتفتح عيناه على معرفة أعمق ، وكأن بولـس الرسـول يقول له أنني أصلى وأطلب من الله أن تقودك مشاركتك فى أعمال الرحمـة إلـى المعرفة الحقيقية العميقة التى تؤهلك لإختيار كل ما هو صالح وجليل ، وهنا نلحـظ فكرة رائعة فكلما ازداد عطاء الخادم كلما تعمقـت معرفتـه الإختباريـة بالحيـاة الروحية ، وخير مثال على هذا الأنبا ابرآم الأول أسقف الفيوم الذى قادته اعمـال الرحمة إلى معرفة عميقة واكتشاف أسرار الملكوت .

" لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزية بسبب محبتك لأن أحشاء القديسين قد استراحت بـــك أيها الأخ " (٧)

فى الآية الرابعة التقينا مع صلاة بولس وشكره من أجل فليمـــون ، وصلاتـــه كانت من أجل شركة إيمان فليمون الفعَّالة ، وشكره من أجل تقدم فليمون الروحـــي حتى أن أحشاء القديسين قد استراحت به ، وإن كان معلمنا بولـــس مـــدح محبـــة وإيمان فليمون فى الآية الخامسة *" سامعاً بمحبتك وإيمانك " (ع٥)* فإنه عاد وتكلم عن شركة إيمانه الفعالة فى الآية السادسة ، وهنا يتكلم عن محبته التى أراحت أحشـــاء القديسين ، ومديح معلمنا بولس هنا ليس رياءاً بل هو مديـــح حقيقـــى صـــادق لأن فليمون فعلاً يتمتع بهذه المحبة وذاك الإيمان ، ولكن ما نلاحظه هنا حكمة معلمنـــا بولس إذ أصدر هذا المديح فى الوقت المناسب ، لأنه بلا شك أن هذا يفتـــح قلـــب فليمون على الخير الذى فيه ويُحفزه أكثر فأكثر على المحبة الباذلة ، وبالأكثر علـــى إصدار العفو عن عبد يستحق القتل .

لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزية بسبب محبتك .. فسيرة فليمون الصالحة وخدمتـــه العظيمة قد وصلت إلى روما فطيبت قلب اسير يسوع المسيح وكانت مبعث فـــرح وعزاء ليس له فقط بل ولتيموثاوس ولكل من يخدم معهما ولذلك قال " لنا " .. حقـــاً أن الخادم الصالح يفرح باقتراب أولاده من الله وسلوكهم بحسب وصايـــا الإنجيـــل *" ليس لي فرح أعظم من هذا أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق " (٣يو٤)* .

لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ .. لم يذكـــر معلمنـــا بولـــس الأعمال التى قام بها فليمون واستحق بها هذا المديح الصادق البليغ ، ولكـــن مـــن الثابت أن فليمون فتح بيته كنيسة لإجتماعات وخدمة المؤمنين من أهل كولوســـي ، وبأعمال الرحمة أراح أحشاء القديسين ، والمقصود بالأحشـــاء مركـــز العواطـــف والاحاسيس والمشاعر الداخلية والإنفعالات المقدسة أى القلب ، فما كانوا يســـمونه بالأمس البعيد الأحشاء فإنهم يدعونه اليوم القلب ، وقد التقينا من قبل بهذا التعبـــير *" فالبســـوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعـــاً ووداعـــة*

وطول أناة " (كو٣: ١٢) [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٤٩] *" فإن الله شاهد لي كيف أشتاق إلى جميعكم فى أحشاء يسوع المسيح " (في١: ٨)* [راجع تفسير رسالة فيلبى صـ٤٤] وفى هذه الرسالة القصيرة نلتقي بهذه الكلمة ثلاث مرات *" أحشاء القديسين " (ع٧)* ، وقال عن أنسيمس *" الذى هو أحشائى " (ع١٢)* وعندما طلب العفو عنه قال لفليمون *" أرح أحشائى فى الربّ " (ع٢٠)* .. حقاً أننا نجد فى المسيحية المحبة والرأفة والحنان والمشاعر الحلوة بينما نجد فى العالم القسوة والجحود والجراح .

لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ .. وكلمة " استراحت " فى الأصل اليوناني تعنى رطبت القلوب ، فكلمات فليمون اللينة وتصرفاته الحسنة وأعماله المملوءة رحمة قد طيبت قلوب القديسين ، والمقصود بالقديسين هنا المؤمنين من أهل كولوسي ولا سيما المحتاجين منهم كقوله لأهل رومية *" مشتركين فى احتياجات القديسين .. أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين " (رو١٢: ١٣،١٥: ٢٥)* وقال عن *" بيت استفاناس أنهم باكورة اخائية وقد رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين " (اكو١٦: ١٥)* فالإنسان المسيحي لا يعيش لذاته ولا لشهواته إنما يعيش لإلهه *" إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت . إن عشنا وإن متنا فللرب نحن " (رو١٤: ٨)* ومادمنا نعيش للرب إذاً فنحن نعيش لخدمة وراحة أبنائه ، فهل حقاً نحن مصدر راحة للآخرين ؟! .. أخيراً نلاحظ أن معلمنا بولس أخر كلمتى " أيها الأخ " إلى نهاية الآية لأنه مزمع ان يعرض عليه مشكلة أنسيمس فى ضوء المحبة الأخويَّة الصادقة .

ثانياً : التماس للصفح والوئام (٨-٢١)

" ٨ لذلك وإن كان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق ٩ من أجل المحبَّة أطلب بالحرى إذ أنا إنسان هكذا نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح أيضاً ١٠ أطلب إليك لأجل ابنى أنسيمس الذى ولدته فى قيودي ١١ الذى كان قبلاً غير نافعٍ لك ولكنه الآن نافع لك

ولي ١٢ الذى رددته . فاقبله الذى هو أحشائي ١٣ الذى كنت أشاءُ أن أمسكهُ عندي لكي يخدمني عوضاً عنك فى قيود الإنجيل ١٤ ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكى لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار لا على سبيل الاختيار ١٥ لأنه ربما لأجل هذا أفترق عنك ساعةً لكى يكون لك إلى الأبد ١٦ لا كعبدٍ فى ما بعدُ بل أفضل من عبدٍ أخاً محبوباً ولا سيما إليَّ فكم بالحرى إليك فى الجسد والربِّ جميعاً ١٧ فإن كنت تحسبني شريكاً فاقبله نظيري ١٨ ثم إن كان قد ظلمك بشئ أو لك عليهِ دين فاحسب ذلك عليَّ ١٩ أنا بولس كتبت بيدي .أنا أوفى .حتى لا أقول لك أنك مديون لي بنفسك أيضاً ٢٠ نعم أيها الأخ ليكن لي فرح بك فى الرب أرح أحشائي في الرب ٢١ إذ أنا واثق بإطاعتك كتبت إليك عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول " (٨-٢١) .

فى هذا الجزء يقدم بولس الحكيم التماس لأجل أُنسيمس العبد الهارب داعياً إياه إبنه وأخيه المحبوب ، ويشيد بخدمته فبعد أن كان غير نافع أصبح نافعاً ، وفى هذا الجزء أيضاً نتلامس مع اللباقة والكياسة وحسن التصرف أو قل حكمة الروح القدس العامل فى قلب بولس الرسول .

" **لذلك وإن كان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق** " (٨)

لذلك .. تمثل هذه الكلمة حلقة الوصل بين ما سبق من تمهيد وما يأتى من إلتماس ، فمعلمنا بولس يقول لفليمون : نظراً لما أظهرته من محبة نحو الآخرين ، فباسم المحبة أطلب من أجل إبني أُنسيمس .

لذلك وإن كان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق .. فمصدر الثقة هو الرب يسوع المسيح الذى باسمه يأمر بولس الرسول أولاده وباسمه يوصيهم كما أوصى أهل تسالونيكى "***ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح . فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظمهم بربنا يسوع المسيح ..*** " *(٢تس٣: ٦، ١٢)* فهنا يُلمّح بولس الرسول لفليمون عن سلطانه الرسولي كما قال من قبل لأهل كورنثوس "***ألستُ أنا رسولاً ؟!*** "*(١كو٩: ١)* ومع ذلك يقول لهم "***لم استعمل سلطاني فى الإنجيل*** "*(١كو٩: ١٨)* ويقول لأهل تسالونيكي " ***ليس أن لا سلطان لنا بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثَّلوا بنا*** " *(٢تس٣: ٩)* .. حقاً أن معلمنا بولس له السلطان الرسولي فهو ممثل

للمسيح وسفير عنه وله أن يأمر بما يليق ، ولكن مع هذا لا يستخدم هذا السلطان ولا يستخدم لغة الأمر إنما يقدم التماسا رقيقاً له ..

أن آمرك بما يليق .. بالمسيح يطلب بولس الرسول بل ويأمر بما يليق .. بالمسيح يتجاسر الراعى فيأمر أولاده بما يليق ، أى بما صالح لأنفسهم وللآخرين ولكن بدون تسلط ، ولذلك يوصي معلمنا بطرس الرعاة قائلاً ***" ارعوا رعيّة الله .. لا كمن يسود على الانصبة بل صائرين أمثلة للرعيّة " (١بط٥: ٢،٣)*** ونحن ياأخوتى إن كان السيد المسيح قد وهبنا كل شئ فلا يصح أن نرد من يسألنا باسمه مادام طلبه داخل دائرة " ما يليق " ، ولكن من يطلب منا باسم المسيح أموراً لا تليق مثل التهاون بالصوم أو تناول النبيذ والخمور أو تغيير الحقيقة .. إلخ فإننا نقول له باسم المسيح ولأجل خاطر المسيح لا نستطيع أن ندخل فى دائرة ما لا يليق .

" من أجل المحبَّة أطلب بالحرى إذ أنا إنسان هكذا نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح أيضاً " (٩)

لم يطلب بولس الرسول من أولاده شيئاً غير الصلاة من أجله ومن أجل انتشار الإنجيل المقدس ، ولم يطلب قط مساعدات مالية حتى فى شدة احتياجه وسجنه ، ولم يطلب توسطهم لدى الرئاسات للإفراج عنه . أما هنا فإنه يطلب ويلتمس برقة متناهية من صديقه فليمون ليس لأجل أمر يخصه هو بل لأجل إنسان آخر يهمه أمره ، وقد استند بولس الرسول فى طلبه والتماسه هذا على ما يلى :

١- محبة فليمون وقلبه الطيب ومشاعره الرقيقة لذلك يقول "من أجل المحبة أطلب" ، وانظر ياصديقى لحكمة بولس الرسول ، فماذا تطلب يا معلمنا بولس ؟..أنه لم يفصح عن طلبه ولم يذكر اسم أنسيمس الذى يطلب من أجله إلاَّ فى الآية العاشرة.. لماذا ؟.. لكيما يمتص كل موجة غضب فى قلب فليمون ضد عبده اللص الهارب.

٢- مقدم الالتماس شيخ ، ولم يكن معلمنا بولس طاعناً فى السن فقد كان نحو الستين

من عمرة ولكن الأهوال التى عاينها والمشقات التى جاز فيـها صيَّرتـه شـيخاً ، وأنسيمس إبن شيخوخته الذى يحتاج إلى خدماته ، وأيضاً كلمة شـيخ "presbytes" تحمل معنى السلطان الكهنوتي الأبوي ، ومع هذا فهو آثر أن يسـتخدم سـلطان المحبة ، ولذلك يقول عن نفسه " إذ أنا إنسان " ولم يذكر هنا أنه رسول .

٣- مقدم الالتماس سجين من أجل المسيح " والآن أسير يسوع المسيح أيضاً " فقـد أمضى حياته فى خدمة الكرازة بالمسيح والآن هو أسير من أجل المسيح ، فـهل هو يتكلم عن ضعفاته وآلامه ليحنن قلب فليمون ليس عليه بل على أُنسيمس إبن أسره وقيوده وآلامه كما سنرى فى الآية القادمة .

" أطلب إليك لأجل إبنى أُنسيمس الذى ولدته فى قيودي " (١٠)

منذ بداية الرسالة وحتى هذه الآية لم يذكر بولس الرسول إسم أُنسيمس قـط ، وحتى فى هذه الآية ورد إسم أُنسيمس فى الأصل اليوناني فى آخر الآية " أطلـب إليك لأجل إبني الذى ولدته فى قيودي أُنسيمس " وذلك لكي يـهئ نفسـية فليمـون للصفح بعد أن أغدق عليه الكثير من الحب والمديح وكشف له عن الخـير الـذى بداخله ، وأعلمه أن أُنسيمس صار له إبناً جديداً ولده إبان أسره وقيوده. إذاً لم يعـد ذاك الشخص العبد اللص الهارب المنبوذ بل الابن الجديد لبولس الرسول ، فـالأمر العجيب أن السيد والعبد كليهما نال الإيمان عن طريق نفس الخادم ولكن فى أوقـات مختلفة وظروف متباينة .. أحدهما كان حرًّا يتاجر فى أفسس ويبحث عـن المـال فالتقى ببولس الرسول المعلم الحر فى مدرسة تيرانس ، والآخر عبداً شقياً هاربـاً فى روما يبحث عن الحرية والسعادة فالتقى ببولس أسير يسوع المسيح .. الأول لـم يجد ضالته المنشودة فى الثروة والمال والآخر لم يجد سعادته فى الحرية الجسـدية والأهواء ، وكلاهما اصطادته النعمة الإلهية فدخلا فى شبكة المسيح وعندئذ وجـد ضالته المنشودة وسعادته المفقودة وحريته السليبة وعـرف الحق الذى حـرَّره من

قيود الشر وصار له النصيب الصالح .

أطلب إليك .. لم يقل بولس الرسول " أطلب منك " بل " أطلب إليـــك " وهـــو تعبير فى غاية اللطف والرقة يحمل فى أحشائه معنى التوسل والإلتماس أكثر مـــن الطلب .. أطلب إليك يافليمون أي أننى أتوسل إليك ياصديقى ولكننى لـــن أفـــرض عليك شيئاً مهما كان فيه الخير لك ولغيرك . إنما دعنى اتشفع فى إبنـــي أُنســـيمس باسم المحبة .. لن استخدم سلطانى الرسولي ، ولن أقول لك *" إن لم تغفروا للنـــاس زلّاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلّاتكم " (مت٦: ١٥)* لأننى أثق فى محبتك الكبيرة التى تعدت مرحلة الخوف ووصلت إلى مرحلة المخافة ، وتعدت مرحلة طلب المغفـــرة إلى مرحلة طلب المحبة أى طلب الله ذاته ، ومن يطلب الله فإنه يتمثل به .

لأجل إبنى أنسيمس .. ما أجمل مشاعر بولس الرسول الأبويَّـــة تجـــاه شـــعبه ، فهو يقول لأهل كورنثوس *" إن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آبـــاء كثيرون . لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل " (اكو٤: ١٥)* وكان دائمـــاً يشـــعر أن أولاده هم مجده وفرحه فى الأبدية *"من هو رجاؤنـــا وفرحنـــا وإكليـــل افتخارنـــا ؟ أم لستم أنتم أمام ربنا يسوع المسيح فى مجيئه لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا " (اتس٢: ١٩، ٢٠)* .

الذى ولدته فى قيودي .. يافليمون أننى ولدت أُنسيمس فى صراعى مع قـــوات الظلمة ، وفرحت بولادته أنا وكنيسة روما بل أن السماء إبتهجت بتوبته وعودته إلـــى حضن الآب *"أنه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب "(لو١٥: ٧)* إذاً لابـــد أنك أيضاً ستفرح بولادته إنساناً جديداً . ألا يُذكّرك هذا يافليمون بإيمـــانك وولادتـــك إنساناً جديداً من الماء والروح ؟! وألا يُذكّرك هذا يافليمون بسيدك المُقيَّد على عـــود الصليب الذى يقبل إليه الخطاة يصبغهم بدمه ويلدهـــم ولادة جديـــدة للملكـــوت ؟!.. إطمئن يافليمون لقد وُلِد أُنسيمس فى المعمودية وصرتُ أنا اشبيناً ضامناً له .

" الذى كان قبلاً غير نافعٍ لك ولكنه الآن نافع لك ولي " (١١)

الذى كان قبلاً غير نافعٍ لك ولكنه الآن نافع .. هذه الآية تمثل جملة إعتراضية تحمل مجانسة كلامية يستخدم فيها بولس الرسول معنى إسم أُنسيمس " نافع " لصالحه ، ومع هذا فإنه لا يلتمس له أية أعذار فى خطئه الذى إرتكبه بل يذكر صراحة أنه كان غير نافع فلم يكن إسماً على مسمي لأنه كان بدون مسيح . أما الآن بعد أن عرف المسيح المخلص فقد صار إسماً على مسمي ، ويقول القديس يوحنا فم الذهب " يُعلن الرسول أن أُنسيمس لم يكن قبلاً نافعاً بالمرة وبذلك يخمد غضب فليمون ، وهو يقول له (الآن هو نافع) ولم يقل الرسول (أنه سيكون نافعاً فيما بعد) مؤكداً أنه صار مستحقاً للمديح فعلاً " (St . Jerome Epist 373) [٣] .. لقد خلق الله الإنسان لكيما يكون نافعاً ، ولكن كل من يهرب من الله سيده فهو عبد غير نافع وسيظل هكذا حتى يعود للطاعة ويعيش مسيحياً بالإسم والفعل فعندئذ سيكون نافعاً ، ولابد أن هذه الجملة تُذكِّر فليمون بحياته الأولى حيث كان مثله مثل أى إنسان لا يعرف المسيح يعيش لذاته وشهواته أما الآن فقد صار نافعاً جداً للآخرين .

الآن نافع لك ولي .. فمن الصالح لك أن تقبله بعد أن تبدَّلت حياته وتغيَّرت . أنك ستجده مطيعاً أميناً وفيّاً نافعاً مريحاً قادراً أن يؤدى كل ما تأمره به من أعمال مادية ، كما أنه قادر أن يؤدى كل ما أطلبه منه من أعمال روحية وخدمات مختلفة أنه كان مصدر عزاء لي فى سجني ، ويداه ورجلاه هم عوضاً عن أعضائي المُقيَّدة ، وبه خدمت وربحت الكثيرين .. لقد صار نافعاً جسداً وروحاً .

" الذى ردَّدته فأقبله الذى هو أحشائى " (١٢)

الذى ردَّدته .. لقد كان ضالاً فوجدته وردَّدته إليك ، وكأن أُنسيمس أمانة لدى بولس الرسول فردها ليس كما هى بل أفضل كثيراً من ذى قبل .. لقد قبل بولس الرسول أُنسيمس عبداً لصاً هارباً مغتصباً ناقماً على الكل متذمراً بلا إله ولا رجاء

---

[٣] اورده دياكون ميخائيل مكس فى كتابه رسالة بولس الرسول إلى فليمون صـ٦٤ .

فأعاده إنساناً جديداً عضواً مقدساً فى جسد المسيح مطيعاً خادماً نافعاً إبناً وأخاً محبوباً ، وإن كان الذى يرد الأمانة كما هى يعتبر إنساناً أميناً ، فكم وكم يكون بولس الرسول الذى ردَّ الأمانة أفضل بما لا يقاس ؟!

الذى رددّته .. والفعل فى الأصل اليوناني يعنى " يُحيل إلى " أى أننى أحلت لك يافليمون موضوع أُنسيمس بالكامل لكيما تعلن رأيك وحكمك فيه .. أنت تعلم يافليمون أن عودة عبد هارب إلى سيده مسألة فى منتهى الخطورة ، ومع هذا فإن أُنسيمس يعود إليك بكامل إرادته قابلاً حكمك بكل رضي ، وعندما ردَّ بولس الرسول العبد إلى سيده فإنه لم يظلمه ، ولم يردّه بسبب قلة محبته له . إنما ردَّه لكيما يصلح الخطأ الذى إتكبه العبد من قبل حتى تستقيم حياته الروحية إستقامة كاملة ، ولا يكن هناك أى شائبة تؤرقه وتقض مضجعه ، فإن التوبة ترفع عنا العقاب الأبدى لكنها لا تبرئنا من تصحيح أخطاءنا ولا تعفينا من سداد ديوننا .

فاقبله .. لأنه قد تغير من القسوة إلى الحنو ، ومن الفظاظة إلى اللطف والرقة ، ومن السلب إلى الأمانة ، ومن الحقد إلى الشكر .. فإن كنت يافليمون قد تعرضت للأذى منه وهو فى ضلاله ، فلك أن تفرح به الآن بعد أن تغيرت حياته .. لقد هرب الشر وحلَّ الخير .. هربت الأرواح الشريرة وحلَّ روح الله القدوس .

فاقبله .. كما قبلك الرب يسوع من قبل وسامحك على خطاياك وآثامك .. إقبله إليك متمثلاً بسيدكِ يسوع المسيح الذى قبِل إليه صالبيه وطلب من أجلهم ، وأوصانا أن نتمثل به ، وما دمتَ يافليمون قد قبلت عبدك وغفرت له فلابد أنك ستنسي إساءاته إليك ، وستجد له موضعاً فى قلبك ، وستعامله بكل لطف وحنان .

فاقبله الذى هو أحشائي .. أن أُنسيمس يافليمون صار قطعة منى .. هو قلبى وفلذة كبدى .. هو إبني وأخي المحبوب ، ومن الجانب الآخر ياصديقى فإن أُنسيمس كان يستحيل عليه أن يجد هذه المشاعر المقدسة التى تفيض حباً وحنواً فى أى مجال آخر غير المجال المسيحي .. أن هذه المشاعر هى صدى المشاعر الإلهيَّة تجاهنا " ***بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا المشرق من العلاء*** " *(لو ١ : ٧٨)* .

الذى كنت أشاءُ أن أمسكهُ عندي لكي يخدمني عوضاً عنك فى قيود الإنجيل " (١٣)

الذى كنت أشاءُ أن أمسكهُ عندي لكى يخدمنى .. هذه شهادة ثقة من بولس الرسول لصالح أُنسيمس .. شهادة بصلاحه وحسن سيرته .. شهادة بمنفعته وفاعليته في مجال الخدمة .. شهادة من رسول عظيم لصالح خادم ناجح . أنه صديق مخلص رابض بجوار معلمه بولس الأسير يخدمه بكل أمانة ، ويقضى إحتياجاته المادية البسيطة ، ويفتقد المرضي ويحمل المساعدات التى يقدمها الأسير للمحتاجين ، ويكرز بالبشارة ولا سيما للعبيد . كما أن تكوينه الجسمانى القوى يؤهله للقيام بالخدمات الشاقة .. حقاً كان بولس الرسول فى إحتياج إلى أُنسيمس ولكنه فضل ان يردّه إلى سيده لأن هذا حق ، ولأن بولس إعتاد دائماً أن لا يطلب ما هو لنفسه بل ما هو للآخرين .

ليخدمنى عوضاً عنك فى قيود الإنجيل .. كم كنتُ أتمنى يافليمون أن تكون معى فى تجاربى بروما فى قيود الإنجيل ، فلو كنت معى لما توانيت فى خدمتى أنا الشيخ الأسير لحظة واحدة ، لأننى مقيَّد ليلاً ونهاراً وإقامتى محددة بالمنزل وفى حاجة ماسة لمن يخدمني ويقضى احتياجات الخدمة ، ولكنك إذ أنت بعيد فى كولوسي على بعد ألف ميل فإن أُنسيمس عبدك يخدمني عوضاً ونيابة عنك وباسمك فوجوده هنا هو وجود لك ، وكم هى بركة عظيمة يا عزيزي أن تخدم مسجوناً من أجل المسيح ؟! وإن كان السيد المسيح قد إحتسب زيارة المسجون العادي بركة وزيارة له " ***محبوساً فأتيتم إليَّ* " *(مت٢٥ : ٣٦)*** فكم وكم من يخدم محبوساً من أجل المسيح ؟! .. لقد فعل هكذا انيسيفورس فاستحق المديح والرحمة "***ليعط الربُّ رحمةً لبيت انيسيفورس لأنه مراراً كثيرة أراحني ولم يخجل بسلسلتي* " *(٢تي١ : ١٦)*** .

" **ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكى لا يكون خيرك كأنه على سبيل الإضطرار لا على سبيل الاختيار** " (١٤)

ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً .. بولس كأب روحي حكيم لكل من

فليمون وأنسيمس فإنه يوفر لفليمون فرصة عمل الخير بكامل إرادته وحريته ، ولذلك لم يشأ أن يمسك عنده أنسيمس بدون إرادة فليمون . إنما جعل رأى فليمون هو الفيصل الأول والأخير فى هذه القضية ، فأعاد إليه أنسيمس وفى نفس الوقت عبّر عن حاجته إليه فى الخدمة .

لكى لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار لا على سبيل الاختيار .. لقد خلق الله الإنسان حراً مريداً ، وهو يحترم هذه الحرية الشخصية ، فلا يقبل أن يأتى إليه أحد مضطر مرغم ولذلك كثيراً ما قال " إن أراد أحد .. " ، وأيضاً لا يقبل الخير الذى يقدم على سبيل الإضطرار ، فإن لم ينبع الخير من صميم القلب وبكامل الحرية وعن طيب خاطر فإنه لا يعتبر خيراً ، وإن لم يكن الدافع لعمل الخير هو محبة الله والأخوة فلا قيمة له ، فالذى يفعل الخير على سبيل الإضطرار فإنه يخسر جهده وماله ولا يربح أى بركة من ورائه ، ولذلك إشترط الإنجيل توفر السرور فى العطية وعمل الرحمة "*المعطى المسرور يحبة الله*" *(٢كو٩: ٧)* "*الراحم فبسرور*"*(رو١٢: ٨)* والكنيسة تصلى فى أوشية القرابين لكيما يقبل الله عطايانا وتقدماتنا التى نقدمها بمحبة بكامل إرادتنا " أقبلها إليك على مذبحك المقدَّس الناطق السمائى رائحة بخور تدخل إلى عظمتك التى فى السموات بواسطة خدمة ملائكتك ورؤساء ملائكتك القديسين ، وكما قبلت إليك قرابين هابيل الصديق وذبيحة أبينا إبراهيم وفلسي الأرملة . هكذا أيضاً نذور عبيدك أقبلها إليك . أصحاب الكثير وأصحاب القليل . الخفيات والظاهرات ، والذين يريدون أن يقدموا لك وليس لهم .. إعطهم ما لا يفسد .. " *وربط الله بين تنفيذ الوصية والمحبة فقال " إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى " (يو١٤: ١٥) " أن أحبَّنى أحد يحفظ كلامي " (يو١٤: ٢٣)* فتنفيذ الوصية بدافع الحب وليس بالإضطرار .

" لأنه ربما لأجل هذا إفترق عنك ساعة لكى يكون لك إلى الأبد " (١٥)

لأنه ربما لأجل هذا إفترق عنك .. ربما سمح الله بما حدث يافليمون لخيرك

وخير عبدك كما حدث مع يوسف الذى قصد إخوته به شراً ولكن الله حوّل هذا الشــــر إلى الخير ، ولذلك عندما إلتقى يوسف بأخوته وعرفهم بنفسه قــــال "*والآن لا تتأسّـفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى إلى هنا . لأنه لإستبقاء حياة أرسلنى الله قدامكم .. فــالآن ليــس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله" (تك٤٥: ٥،٨)* .. حقاً أن الإنسان الناضج لا ينظر إلـــى الأحداث التى تقابله بسطحية بل يتطلع إلى ما وراء هذه الأحداث فيرى يد الله المدبّرة

لأجل هذا افترق عنك .. فى رسالة المشاعر هذه نلاحظ كيف يراعى معلمنـــا بولس إلى أقصى حد مشاعر أنسيمس فلا يقول عنه أنه "هرب منك" بــل يقــول "إفترق عنك" وفى نهاية الآية (١٨) لا يقول "إن كان قد سلبك ونـــهب أموالــك وخانك" إنما يقول "إن كان قد ظلمك بشئ أو لك عليه دين" .. مــا أنبــل هــذه المشاعر ؟! .. علمنا ياربي يسوع أن نحترم مشاعر النفوس الجريحة فلا ندميــــها أكثر ونضع عليها الخل بل نُطيّبها بمراهم المحبة والمشاعر النبيلة .

لأنه ربما لأجل هذا إفترق عنك ساعة .. فلتعلم ياصديقى فليمـــون أن حيــاة الشر مهما طالت فهى إلى ساعة ، والحياة حسب الجســـد والجســديات والــتراب والترابيات مهما امتدت فهى لا تتجاوز ساعة واحدة لأنها بلا بركة ، وحياة اللـــذة مهما عظمت فهى لحظات تعبر سريعاً ، والشر لن يمتد أكثر مــن ســاعة . إنمــا الخير يافليمون فإنه ثابت إلى الأبد فى هذا الدهر والآتى أيضاً حتى "*إن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو٨: ٢٨)* والله دائماً وأبداً يحوّل الشـــر الــذى يتعرض له أحباءه إلى خير وإكليل ، ولهذا يقول معلمنا يعقوب الرسول "*احســـبوه كل فرح ياإخوتي حينما تقعون فى تجارب متنوعة" (يع١: ٢)* وهنا نلاحظ أيضاً حكمة معلمنا بولس فهو لا يضخم أبداً من خطية أنسيمس فى عينى فليمـــون كمــا يفعــل بعض الجهلاء ، بل يهوّن له الأمر ويخفف عنه وطأة ما حدث ، وكأنـــه يريــد أن يقول له : ألا تثق ياصديقى فى يد الله القوية التى تحوّل كل شر تتعرض لــه إلــى خير ؟! ألم يتعقب الله أنسيمس من كولوسي إلى أفسس إلى رومية حتى قــاده إلى

حياة التوبة ؟! ألا تفرح بأنسيمس الذى صار نافعاً لي ولك ولخدمة المسيح ؟!

لكى يكون لك إلى الأبد .. ليس معنى هذا أنه فى الأبدية سيظل أُنسيمس عبداً لفليمون .. كلا . بل المعنى أن فليمون قد ربح أنسيمس للمسيح إلى الأبد ، ففى الأبدية جميعنا سننال شرف العبودية للمسيح الحي بل أبناءاً أحباءاً له ، وفى هذه الآية القصيرة نجد تعبيرات متباينة وهى :

أ- **إفترق عنك .. ليكون لك** .. فعندما كان أُنسيمس فى بيتك يافليمون بالجسد كان إنساناً شريراً بعيداً كل البعد عنك أيها البار ، وعندما إفترق عنك قادته النعمة إلى ينابيع الحياة الأبدية فشرب وارتوى واخضرت حياته وزال عنه كل شر ، وعاد إليك إنساناً باراً قديساً .. أنت خسرت عبداً لصاً هارباً خائناً وربحت إبناً وأخاً محبوباً .. خسرت من هو كان بعيد عنك وربحت عضواً حيًّاً فى جسد المسيح ، وهنا لا يبرر بولس الرسول فعلة أُنسيمس الشنعاء ولا يلتمس له العذر فى عدم أمانته وظلمه لأن " *الظالمين لا يرثون ملكوت الله " (١كو٦: ٩)* ولكنه يتعجب من نعمة الله ، فإن كانت عدم أمانة أُنسيمس جعلته يفارقك ليعيش مع لصوص ومجرمي روما فى كورة الخنازير ، فإن نعمة الله افتقدته وإعادته إليك ، وهو ليس له ما يفتخر به إلاَّ هذه النعمة التى فاضت وتفاضلت جداً .. وهنا نتذكر الإبن الضال الذى فارق بيت أبيه ولكن نعمة الله إعادته ليعيش فى إتضاع وليكون فيما لأبيه إلى الأبد .

ب- **إلى ساعة .. إلى الأبد** .. مقدار الحياة الأرضية هو ساعة ، أما الحياة الأخرى فهى إلى الأبد ، لأن الأبدية بداية بلا نهاية ، وعندما يرحل أحباؤنا فإنهم يفارقوننا بالجسد إلى ساعة ولكننا نؤمن أننا سنلتقى بهم فجر القيامة لنكون معهم إلى الأبد.

" لا كعبدٍ فى ما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً ولا سيما إليَّ فكم بالحرى إليك فى الجسد والرب جميعاً " (١٦)

لا كعبدٍ .. بل أفضل من عبد أخاً محبوباً .. وأيهما أفضل يافليمون العبد أم الأخ ؟ .. بلاشك أن الأخ أفضل وعلاقة الأخوة أفضل من علاقة العبودية ، فعلاقة العبد بسيده علاقة سطحية هامشية تقدَّر بمدى منفعة العبد لسيده ، وهذه العلاقة يحكمها الخوف لا الحب ، وهى علاقة غير مستقرة ففى أى وقت تنتهى بالإرادة المنفردة للسيد الذى قد يبيع عبده أو يطرده أو يقتله . أما علاقة الأخوة فى المسيح فهى قوية ومستقرة يحكمها الحب لا الخوف ، وفيها يتساوى العبد مع سيده أو قد يفوقه فى الأمور الروحية ، ورغم أن العبد يظل عبداً أميناً وفيًّا والسيد يظل سيداً لكن لكل منهما أب واحد هو الله ، وأم واحدة هى الكنيسة ، وأخوَّة واحدة لإبن الإنسان ، ونهاية واحدة وهى الملكوت .

أفضل من عبد أخاً محبوباً .. ياصديقى فليمون إن أُنسيمس الجديد تغير كلية عن أُنسيمس القديم . أفلا يستحق هذا منك إعادة النظر فى هذه القضية ؟!..إن عدل الله يحكم على الخاطئ بالهلاك ولكن متى تاب هذا الخاطئ وفارق خطاياه فلا ينطبق عليه قرار الهلاك لأنه لم يعد خاطئاً بل يجد أحضان الله مفتوحة ومراحمه متسعة .

أفضل من عبد أخاً محبوباً .. لقد دعانا الرب نحن العبيد البطالين أخوته وأحباءه وهكذا يدعو بولس أُنسيمس أخاً محبوباً ويدعو فليمون أنه يدعوه هكذا .. أليس هذا تعبير عن شدة العلاقة بين المؤمنين ؟! حقاً أن الأخوَّة الروحيَّة أقوى من الأخوَّة الجسدية ، فربما هنا أخوة بالجسد وفى النهاية يفترقون فمنهم من هو للملكوت ومنهم من هو لغير الملكوت . أما الأخوَّة الروحيَّة فتدوم إلى الأبد .. أيضاً دعوة بولس الرسول لأُنسيمس بأنه أخاً محبوباً هى تحطيم لنظام العبودية الذى جبلته الخطية على الإنسان .

فى الجسد والرب جميعاً .. بمعنى أن أُنسيمس أصبح نافعاً جسداً وروحاً فى الأعمال المادية والأعمال الروحية ، وأيضاً هناك معنى آخر فالجسد يشير للكنيسة فأُنسيمس صار نافعاً وأميناً للكنيسة وللرب جميعاً .

" فإن كنت تحسبنى شريكاً فاقبله نظيرى " (١٧)

فإن كنت تحسبنى شريكاً .. بلباقة عالية ومهارة بالغة وجراءة نادرة وحكمة سامية وضع معلمنا بولس هذه المعادلة ، فيقول لفليمون " إن كنت تحسبنى شريكاً " لك فى الخدمة – وليس المقصود بـ " أن " هنا الشك بل التأكيد – أى أنه يقول له مادمت أنك تحسبنى شريك خدمتك ، ومادمت قد علمت أن أُنسيمس عبدك قد صار إبنى الذى ولدته فى قيودى فهو أحشائى وأخى المحبوب فأرجوك ان تقبله نظيرى ومن الطبيعى أن فليمون يعترف تماماً بأن بولس الرسول ليس شريكه فى الخدمة فحسب بل هو أساس ورأس هذه الخدمة بعد الرب يسوع إذاً لابد أنه سيقبل عبده .

فاقبله نظيرى .. هنا جرأة وحنو معلمنا بولس الذى لا يكتفى بصفح فليمون عن عبده هذا الذى خانه ، بل يطالبه أن يقبله نظيره أى يرفعه إلى مستواه ، وربما هذه الجراءة نابعة من أحساس بولس المملوء اتضاعاً بأن مستواه لا يتعدى مستوى هذا العبد كقوله " *الخطاة الذين أولهم انا* " *(اتى١: ١٥)* .. عندما تنظر إليه ياصديقى فليمون لا تتذكر ماضيه المظلم بل تذكرنى أنا صديقك الوفى .. لا ترى فيه صورة الخيانة البشعة بل لترى فيه صورتى أنا حبيبك .. لا تقبل محاولات عدو الخير الذى يريد أن يشوه صورته فى عينيك بل إقبله نظيرى ..أن معلمنا بولس يقف هنا شفيعاً متمثلاً بالمسيح الذى يشفع فينا أمام الآب طالباً منه أن يقبلنا كما يقبله هو.

شريكاً فاقبله نظيرى .. هذه الجملة الصغيرة تكشف عن جمال واتضاع بولس الرسول ، فيعتبر فليمون إبنه فى الإيمان شريكاً له بل يقدمه على نفسه فيعتبر نفسه شريكاً لفليمون ، ويعتبر تلميذه تيطس أيضاً شريكاً له " *وأما من جهة تيطس فهو شريك لي وعامل معى لأجلكم* " *(٢كو٨: ٢٣)* كما أن معلمنا يوحنا الحبيب يعتبرنا شركاءاً له " *لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا . أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح* " *(ايو١: ٣،٤)* " *أنا يوحنا أخوكم وشريككم* " *(رؤ١: ٩)* وبلاشك أن كل من يوحنا وبولس قد إستقى الدرس من الرب يسوع الذى قال " ***من يقبلكم يقبلنى***

ومن يقبلني يقبل الذى أرسلني . من يقبل نبياً باسم نبيّ فأجر نبي يأخذ . ومن يقبل باراً باسم بارّ فأجر بارٍ يأخذ " (مت ١٠: ٤٠،٤١) وهو الذى جعلنا شركاءاً وورثة معه *" ورثة الله ووارثون مع المسيح " (رو٨: ١٧)* .

" ثم إن كان قد ظلمك بشئ أو لك عليه دين فاحسب ذلك عليَّ . أنا بولس كتبت بيدي أنا أوفى حتى لا أقول لك أنك مديون لي بنفسك أيضاً " (١٨،١٩)

ثم إن كان قد ظلمك بشئ أو لك عليه دين .. هذه العبارة تحمل فى طياتها إعتراف أُنسيمس بسلبه بعض أموال سيده ، وربما أختلس أُنسيمس هذا الجزء من المال ليس بغرض السرقة ولكن لينفق على رحلته الطويلة من كولوسي إلى روما وهو كعبد لا يملك شيئاً ، ولكن هذا لا يبرّره فالهدف خطأ والوسيلة أيضاً خطأ ، فسفر أُنسيمس إلى روما بدون إذن سيده أمر خطأ وكذلك سلب سيده خطأ أكثر ، وبولس الرسول لا يبرّر أُنسيمس من أخطائه ولا يلتمس له العذر ، لكنه يلمس هذه الأخطاء بريشة رقيقة وألوان خفيفة فلا تبدو الصورة قاحلة السواد كئيبة المنظر ، ولا سيما أن هذا السواد قد بيَّضه ملاك الرب حتى صارت صفحة حياته بيضاءاً كالثلج .. ألم يحدث هذا مع الأنبا موسي القوى فى اعترافه بخطاياه وإذ ملاك الرب يمسح كل سواد فى صفحة حياته حتى صارت بيضاءاً بالكامل ؟! .. هوذا بولس يتمثل بسيده فيستر ولا يُشهّر بالخاطئ .. ألم يدعو الرب يسوع الإعتداء الصارخ عليه من ضرب وجلدات ولكم وبصاق واستهزاء وعرى وصلب مجرد جهالة ؟! ، وهوذا بولس يدعو سرقة أُنسيمس ظلماً أو ديناً لم يُوفَى .

فاحسب ذلك علىَّ . أنا بولس كتبت بيدي أنا أوفى .. كان بولس يعمل بيديه فى صناعة الخيام ليعول نفسه ومن معه . أما الآن فهو أسير مقيَّد غير قادر على ممارسة العمل يعيش من تقدمات القديسين ، ورغم هذا فإنه يتعهد بسداد ما سلبه أُنسيمس وهو صادق فى تعهده .. أنها المحبة الأبويَّة ، فالخسارة الماديَّة لا تحتسب شيئاً مقابل ربح نفس واحدة للملكوت لأن كل الأمور الماديَّة زائلة ، وهذا ما نراه

فى الراعى الأمين الذى يجود بالمال مقابل الحفاظ على نفس من نفوس أولاده عالماً أن ثمن هذه النفس لا يقدّر بالمال ، وما دونه بولس هنا بمثابة صك عليه ، وغالباً قد دون هذه الجزئية بيده رغم أنه كان يملئ رسائله لغيره ليكتبها بسبب ضعف بصره " *أعطيتُ شوكة فى الجسد* " *(٢كو١٢ : ٧)* ولم يكن يخط بيده إلاَّ الآيات الأخيرة من كل رسالة ولاسيما الخاصة بالسلام " *السلام بيدى أنا بولس* " *(كو٤ : ١٨)* ويقول لأهل غلاطية " *أنظروا ما أكبر الحروف التى كتبتها إليكم بيدي* " *(غل٦ : ١)* ولذلك يقول هنا " أنا بولس كتبت بيدى " .

فاحسب ذلك عليَّ .. أنا أوفى .. أنها صورة مصغرة لعمل المسيح معنا نحن العبيد الخطاة " *ذاك وضع نفسة لأجلنا فنحن ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة* " *(ايو٣ : ١٦)* وهذا يذكرنا بجباة الضرائب عندما سألوا بطرس " أما يوفى معلمكم الدرهمين . فقال بلى .. " فقال له الرب يسوع " *إذهب إلى البحر وإلق صنارةً والسمكة التى تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه وأعطهم عنى وعنك* " *(مت١٧ : ٢٧)* مع أنه أوفى الضريبة من قبيل النعمة وليس من قبيل الحق لأنه هو صاحب الهيكل .. كان بولس مستعداً أن يوفى دين أُنسيمس ، وهذا يوضح عقيدة المصالحة التى تمت بين آدم العبد الخاطئ وبين السيد الرب الإله إذ توسط الله الإبن وأوفى الدين كاملاً ليس بمال ولكن بدمه الكريم " *عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب .. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح* " *(١بط١ : ١٨،١٩)* وكل خطية يرتكبها الإنسان ويغفرها الله لنا فالرب يسوع يفى ثمنها بالكامل فليست هناك مغفرة مجانية . إنما لكل مغفرة فدية والفدية الوحيدة هى دم الرب يسوع المصلوب عنا ، وإن كان الخلاص مجاني فلأننا لم ندفع فيه شيئاً إنما تحمل تكلفته بالكامل إبن الله الذى داس المعصرة وحده ومن الشعوب لم يكن معه أحد ..

حتى لا أقول لك أنك مديون لي بنفسك أيضاً .. لأنك عرفت المسيح عن طريقى وشربت وارتويت من ماء الحياة ووضعت أقدامك على أعتاب الحياة الأبدية ولذلك فإن طلبت منك أن تصفح عن عبدك فهذا ليس بالكثير عليك ، ونحن

ياأحبائى المديونين للرب يسوع ألا يجب أن نطيع صوته ونمجده بأجسادنا وأرواحنا *" قد أشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هي لله " (١كو٦: ٢٠)* .

نعم أيها الأخ ليكن لي فرح بك .. بولس الشيخ يدعو فليمون بالأخ ، والعبارة تفيض بالتوسل الحار .. أنني أناشدك ياصديقى فليمون أن تصفح عن عبدك ، وصفحك هذا هو علامة على نمو بذرة الإيمان التى قبلتها داخلك وأثمرت فى حياتك ، وهذا يدعوني للفرح بك .. أن محبتك الفائقة ياصديقى وثمرك المتزايد فى الرب يدعوني للفرح .

أرح أحشائي فى الرب .. فموضوع أُنسيمس لم يمثل بالنسبة لبولس الرسول موضوع عابر لكنه موضوعاً هاماً جداً ، ولذلك لم يكف عن الإلحاح على فليمون بعبارات تفيض بالتوسل والرقة واللطف .. لقد أرحت يافليمون أحشاء القديسين بإيمانك ومحبتك (ع٧) لذلك ألتمس منك أن ترح أحشائى أنا أيضاً ، وهذه المحبة هى صدى لمحبة الرب يسوع الذى يهمه جداً موضوع خلاصنا ، وتزداد فرحته بكل إبن ضال يعود إليه .

" إذ أنا واثق بإطاعتك كتبت إليك عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول " (٢١)

إذ أنا واثق بإطاعتك كتبت إليك .. لأننى يافليمون واثق فى محبتك وطاعتك لذلك بادرت بالكتابة إليك حتى لا تخسر بركة فعل المحبة والخير ، وثقة بولس الرسول جعلته لا يطلب ولا ينتظر رداً من فليمون بل إعتبر الموضوع منتهياً ، فإن ثقته فى إلهه الذى يُليّن القلوب وثقته فى أولاده المملوئين خيراً حلّت مشكلة أُنسيمس وأصلحت الأوضاع وأراحت جميع الأطراف..حقاً أن ثقتنا فى الله تنعكس على ثقتنا فى الآخرين لأن الله قادر أن يشق لنا طريقاً فى البحر ويفتح لنا طريقاً فى الصخر .

عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول .. لماذا ؟ لأنك تؤمن يافليمون بالله الذى

يفعل لنا أكثر مما نطلب بل أكثر مما نظن أو نفتكر ، وهذه الآية شهادة تذكية لفليمون واعتراف بفضائله ، وفعلاً قبل فليمون شفاعة بولس الرسول وصفح عن عبده ومنحه صك الحرية وأعاده إلى روما ، ولو فعل فليمون غير هذا ما كان سجل لنا الإنجيل سيرته الحسنة . أيضاً لنتذكّر أنه كلما أحسنا الظن بالآخرين كلما كانوا عند حسن ظننا ، وكلما توقعنا منهم الخير بثقة كلما يفعلون الخير بحماس .

ثالثاً : طلب وختام (٢٢-٢٥)

" ٢٢ ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلاً لأنى أرجو أنني بصلواتكم سأوهب لكم ٢٣ يسلّم عليك ابفراس المأسور معي في المسيح يسوع ٢٤ ومرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي ٢٥ نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أمين " (٢٢-٢٥) (إلى فليمون كُتِبت من رومية على يد أنسيمس الخادم) .

تمثل هذه الآيات الملاحظات الختامية للرسالة حيث يطلب بولس الرسول من فليمون اعداد مكاناً لأقامته لأنه مزمع أن يأتى إليهم عقب إطلاق سراحه .ثم يُحمّل الرسالة بسلام الأخوة العاملين معه وأخيراً يهبهم النعمة والسلام باسم ربنا يسوع المسيح.

" ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلاً لأنى أرجو أنني بصلواتكم سأوهب لكم " (٢٢)

ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلاً .. فوق طلبتى بشأن الصفح عن أنسيمس فإننى أطلب منك ياصديقى إعداد منزلاً لي . أى إعداد حجرة لي فى منزلك ، وربما سيقوم بهذه المهمة أنسيمس أن يجهز غرفة الضيوف لمعلمه وأبيه الروحي ، وبلاشك كان خبر قدوم بولس إلى كولوسي مبعث الفرح لفليمون وأهل بيته بل ولأعضاء كنيسة كولوسي ككل .. لقد كان بولس متفائلاً بعيداً عن كل تشاؤم وصغر نفس ويأس ، وفعلاً أُطلق صراحة بصلوات أولاده ولكننا لا نعلم هل ذهب إلى كولوسي أو لا ؟! ولاسيما أنه ذهب غرباً إلى أسبانيا .

أرجو بصلواتكم أننى سأوهب لكم .. يطلب بولس الرسول صلوات الكنيسة

من أجله ، وهذا ليس أمراً غريباً عن الكنيسة " *فكان بطرس محروساً في السجن . وأما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله " (أع١٢ : ٥)* وهذه وصية الإنجيل لنا " *اذكروا المقيَّدين كأنكم مقيَّدون معهم والمُذَلين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد " (عب١٣ : ٣)* وأن الكنيسة تصلي في الليتورجيا من أجل الذين في السجون والمطابق والسبي والنفي ، ومعلمنا بولس الرسول يعتبر الإفراج عنه وذهابه إلى أهل كولوسي هو نتيجة إستجابة السماء لصلواتهم لذلك قال " سأوهب لكم " .

" يسلم عليك ابفراس المأسور معي في المسيح يسوع ٢٤ ومرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي " (٢٣،٢٤)

هذه الأسماء الخمسة جاء ذكرها في الرسالة إلى كولوسي ، وهذا ما يؤكد أن الرسالتين كتبتا في وقت واحد ، ولعل ذكر هذه الأسماء يُعتبَر نوعاً من الاستشفاع بهم لدى فليمون ، ويمكن أخذ بركة هؤلاء الخدام في سطور قليلة .

ابفراس المأسور معي في المسيح يسوع .. إسم ابفراس اختصار لاسم " ابفرودتس " ومعناه " الجميل " أو " الجذاب " ، وهو غير ابفرودتس الذى جاء ذكره في رسالة فيلبي (في٢: ٢٥،٤: ١٨) وكان موطنه فيلبي بمقاطعة مكدونيا في اليونان بينما ابفراس من كولوسي بفريجية في أسيا الصغرى ، وابفراس هو الذى أسَّس كنائس كولوسي ولادوكية وهيرابوليس ، وقد حمل أخبار كولوسي لمعلمه بولس الرسول مما دفعه لكتابة الرسالة إلى أهل كولوسي (كو١: ٧-٩) وقد اطلق عليه بولس الرسول ألقاب عديدة تعتبر شهادات مجد وفخار له مثل " *العبد الحبيب معنا " (كو١ : ٧) " خادم أمين للمسيح لأجلكم " (كو١ : ٧) " مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات ..فإني أشهد فيه أن لهُ غيرةً كثيرة لأجلكم " (كو٤: ١٢،١٣)* كما وصفه بأنه " *عبد المسيح " (كو٤: ١٢)* وهذا الوصف لم يطلقه بولس الرسول إلاَّ على نفسه وعلى تلميذه تيموثاوس (في١:١) ، وهنا يقول عنه " المأسور معي " كما قال هذا عن ارسترخس " *ارسترخس المأسور معي " (كو٤: ١٠)* ويبدو أن كل

منهما قد تطوع لخدمة معلمنا بولس أبان فترة أسره بالتبادل ، وقدصار ابفراس أول أسقف على المنطقة واستشهد بها .

مرقس [٤].. هو مارمرقس أحد السبعين رسولاً ، وهو الإنجيلي كاتب الإنجيل الثالث المدعو بَاسمه ، وهو ناظر الإله إذ كان بيته مفتوحاً للرب يسوع فيه قدم العشاء الربانى وظهر للتلاميذ بعد القيامة وحل الروح القدس على الكنيسة الأولى ، وهو الشاب الذى هرب ليلة القبض على الرب يسوع ، وهو الذى صاحب بولس وبرنابا فى الرحلة الأولى ، وهو الذى خدم مع خاله برنابا فى قبرص ، وهو الذى بشر فى الخمس مدن الغربية ، وهو الذى خدم بولس وبطرس الرسولين فى روما ، وهو الذى أنشأ مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التى قوضت أركان مدرسة إسكندرية الوثنية وقضت عليها ، وهو الذى وضع القداس الأول فى كنيستنا القبطية ، وهو الذى تباركت شوارع مدينتنا الإسكندرية بدمائه الطاهرة الذكية ، وهو الذى يصلى من أجلنا لأننا نحن أولاده فى الإيمان .

ارسترخس .. اسم يوناني معناه " خير حاكم " أو " أفضل حاكم " ، وهو من أهل تسالونيكي رافق بولس الرسول في تجواله وسفراته ، وكان معه فى خدمته بأفسس وتعرض للخطف مع صديقه غايس (أع١٩: ٢٩) ويبدو أنه تم استجوابهما وإطلاقهما لأنهما يونانيان ولم تثبت عليهما تهمة ما ، وذهب إلى ترواس مع رفقائه حيث انتظر بولس الرسول ، وعاين معجزة إقامة الشاب افتيخوس فى ترواس ، وحضر لقاء بولس الرسول المؤثر مع قسوس أفسس فى ميليتس ، ورافق معلمه إلى فلسطين ، وعندما رحل بولس من سجن قيصرية إلى روما كان معه ارسترخس على ظهر السفينة التى تحطمت (أع٢٧: ٢) وظل يخدم معلمه فى روما ، ويذكر التقليد أنه إستشهد فى عصر نيرون الطاغية .

ديماس .. إختصار لإسم ديمتريوس وهو مرتبط بـ " ديمتر " إله الزراعة

---

[٤] راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٩٠،١٩١ – مارمرقس الرسول لقداسة البابا شنودة الثالث .

عند اليونان ، وجاء سلامه فى رسالة كولوسي (كو٤: ١٤) ضمن عشـرة أسـماء ولكنه كان الشخص الوحيد الذى لم ينل مديحاً من معلمه بولس الرسول ، وكشـف لنا معلمنا بولس عن نهاية حياته الروحية فى الرسالة الثانية إلى تيموثاوس قـرب استشهاده إذ قال عنه "*ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهـب إلـى تسـالونيكي*" *(٢تي٤: ١٠)* ولم يذكر لنا الكتاب المقدس ولا التقليد أنه عاد إلى حياته الأولـى .. إن ديماس يمثل صوت إنذار لنا "*لا تحبوا العـالم ولا الأشـياء التـى فـى العـالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الأب .. العالم يمضى وشهوته*" *(١يو٢: ١٥-١٧)* .

لوقا .. معنى اسمه فى اللاتينية " معطى النور " أو " مانح النور " وفـد وُلِـد وعاش فى انطاكية سوريا وفيها درس الطب واهتم بصحة معلمه المنهكة ، وهـو أحد السبعين رسولاً الذين اختارهم الرب يسوع (لو١٠: ١) وهـو أحـد تلميـذى عمواس (لو٢٤: ١٣) ، وكان فى انطاكية منذ السنة الأولى لخدمة بولس الرسـول وبرنابا هناك عندما تنبأ اغابوس عن المجاعة (أع١١: ٢٨) ، وكان مع بولس فـى رحلته التبشرية الثانية حيث تركه بولس فى فيلبى ليرعى كنيستها على مدار خمسـة أعوام ، وغالباً هو الشخص الذى أشار إليه بولس الرسول فى الرسالة الثانية إلـى كورنثوس "*وأرسلنا معه (مع تيطس) الأخ الذى مدحه فى الإنجيل فى جميع الكنـائس*" *(٢كو٨: ١٨)* وكان مع معلمه بولس فى الرحلة من قيصرية إلـى رومـا حيـث تحطمت السفينة (أع٢٧: ١،٢) ، وكان مع معلمه فى فترة السجن الأولى فى رومـا وأيضاً فى فترة السجن الثانية "*لوقا وحده معي*" *(٢تي٤: ١١)* وقال عنـه القديـس ابيفانيوس أنه بشر بالإنجيل فى دلماطيا شمال غرب اليونان ، وهو الشخص الوحيد الذى من الأمم وقد سجل لنا سفرين فى العهد الجديد هما انجيلـه وسـفر أعمـال الرسل ، وأيضاً كان لوقا فناناً فرسم ايقونتين للسيدة العذراء وهى تحمـل الطفـل يسوع ، وبذلك يعتبره الرسامون شفيعاً لهم وأيضاً الأطباء .

" نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أمين " (٢٥)

وكما بدأت الرسالة بالنعمة والبركة هكذا انتهت بالنعمة .. أنه دعاء معلمنا بولس لفليمون وأسرته والكنيسة التى فى بيته ، وفعلاً نعمة ربنا يسوع المسيح التى تمتع فيها فليمون هى التى منحته القوة للصفح عن عبده أنسيمس ، وصنعت صلحاً بين القديسين ، والنعمة هى التى تصفح عن آثامنا وتربطنا بالآب السمائى ، وتعمل فى قلوبنا فنجد نعمة فى عيون الآخرين ، وإن كان معلمنا بولس يركز على الروح " مع أرواحكم " فذلك لأن الروح هو العنصر الأهم والخالد إلى الأبد ، والروح هى التى ترنو للملكوت ، وهى التى تشتهى الروحيات .. فياليتنا نسير بالروح ولا نكمل شهوات الجسد .

لقد إنتهى معلمنا بولس من رسالته فطواها وسلمها لتيخيكس ولم يكن يتخيل أهمية هذه الرسالة فى عصره وفى كل عصر ، لأنها رسالتنا نحن ، ورسالة كل إنسان هارب من وجه سيده ثم يعود إلى بيت الآب والأحضان الأبوية فيندم على الأيام التى ولت وفاتت فى شرور العالم والجسديات .

لقد فرح فليمون وزوجته ابفيَّة وارخبُّس وكل أهل البيت بعودة أُنسيمس العبد التائب ، وأشادوا بشجاعته ، والتمسوا بركته . بل وقبله كل أهل كولوسي متمّمين وصية أبيهم الحبيب .. أخذ تيخيكس وأنسيمس يقصان على فليمون وأسرته والكنيسة التى فى بيته أحوال كاروز الأمم وعمل الله العجيب معه ، وكيف صارت قيوده وسيلة لخلاص الكثيرين حتى وصلت الكرازة إلى بيت قيصر ، وآمن بعض الجنود البواسل والقادة الشجعان فتغيرت حياتهم من الفساد والشر والرذيلة والمؤامرات والدسائس وانعدام القيم والأخلاق إلى حياة الصدق والأمانة والقداسة فصاروا أنواراً فى سماء روما ، واجتذبت أنوارهم أوكتافيا زوجة نيرون التى آمنت ، وظل تيخيكس وأُنسيمس ينفذان ما أوصاهما به معلمهما بولس الرسول " ***جميع أحوالي سيعرفكم بها تيخيكس الأخ الحبيب والخادم الأمين والعبد معنا فى الرب .. مع أنسيمس الأخ الحبيب الذى هو منكم . هما سيعرّفانكم بكل ما ههنا " (كو٤: ٧-٩) .***

وقبل أهل كولوسي أُنسيمس كأخ حبيب إذ هو منهم . لم ينظروا إليه نظرة

احتقار ولا إزدراء إنما عظَّموا عمل النعمة التى تجلت فى حياة لص تائب وشرير صار قديساً ، وأمضى أنسيمس بعض أيام فى بيت سيده كضيف عزيز مكرم بل كعابد ناسك يشتعل قلبه بالحب المقدس لمسيحه ولكل العالم ، فنفع المؤمنين كثيراً بالنعمة الخارجة من فيه والمتجلّية فى حياته . وإذ أراد أن يعود إلى عمله كعبد منعه سيده فليمون بل اعتقه وسلَّمه وثيقة تحريره ، فصار أُنسيمس رجلاً حرًّاً كما شاء المسيح له وليس كما تصوَّر هو الحرية الخاطئة المبنية على الخيانة والسلب والهروب .. صار إنساناً حرًّاً عبداً لسيده المسيح ، وعاد إلى معلمه بولس الرسول ليحمل معه صليب الخدمة حتى استشهاده .

وعقب استشهاد بولس الرسول فى روما خدم أُنسيمس فى أفسس مع تيموثاوس الذى كان أسقفاً عليها ، ولازمه حتى استشهاده رجماً بالحجارة يوم ٢٢يناير سنة ٩٧م ، فاختار أهل أفسس أُنسيمس عوضاً عنه اسقفاً عليهم ، فصار أُنسيمس أسقفاً لأفسس عاصمة آسيا الصغرى بينما سيده فليمون كان أسقفاً على كولوسي المدينة الأقل عظمة من أفسس ، وإن كانت مجموعة قوانين الرسل (ك٦ف٤: ٤٦) تذكر أن فليمون سيم أسقفاً على مدينة كولوسي وأُنسيمس سيم أسقفاً على بيريه فى مكدونية ببلاد اليونان ، وسواء كانت بيريه أو أفسس ، فالجميع اتفقوا على أنه نال نعمة الأسقفية وأنه نال إكليل الشهادة فى روما .

وفى سنة ١٠٧م كان اغناطيوس أسقف انطاكية يشق طريقه وسط الحراسة المشددة من انطاكية إلى روما لينال اكليل الشهادة ، وأثناء توقفه فى سميرنا كتب رسالة إلى أهل أفسس جاء فيها :

" إلى الكنيسة المغبوطة جداً التى فى أفسس من أعمال آسيا .. أنى باسم الله أستقبلكم جميعاً فى شخص أُنسيمس . هذا الإنسان ذو المحبة التى لا يعبر عنها وأسقفكم بالجسد الذى اضرع إلى الله أن تحبوه جميعاً وأن تكونوا مشابهين له .. مبارك هو الله الذى وهبكم أسقفاً كهذا الأسقف الذى تستحقونه .. إذ كنت قد

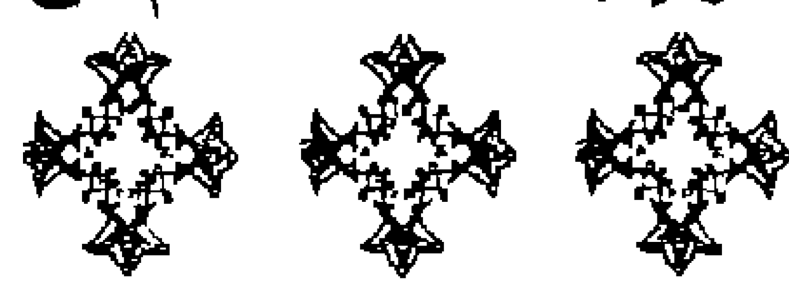
ارتبطت مع أسقفكم مدة وجيزة برابطة وثيقة روحيَّة لا علاقة للجسد بـــها . فكـــم بالحرى أغبطكم أنتم وقد ارتبطتم به ارتباطاً دائماً كارتبـــاط الكنيســـة بالمســـيح ، والمسيح يسوع بالآب " [٥]

ويذكر التاريخ الكنســـيي [The Interpreter Bible VoL . 11 . P. 557] أن محاولة تجميع رسائل بولس الرسول تمت عن طريق مجمع انعقد فـــي مدنيـــة أفسس وحضره فليمون أسقف كولوسي وأُنسيمس أسقف أفسس ، فطلب أُنســـيمس من فليمون ضم الرسالة الشخصية التى أرسلها بولس الرسول إليه ، والتى تُظـــهر عظم عمل النعمة فى عبد خاطئ لص هارب ليسمع العالم كله ما جرى معه وكـــم صنع الرب به ورحمه .

ومع موجات الإضطهاد قُبض على أُنسيمس بناء علـــى أمـــر الإمـــبراطور دوماتيانوس وأُقتيد مقيداً إلى روما مثل معلمه بولس فحوكم أمام الحاكم ترتلس ولكن أُفرج عنه كما حدث مع معلمه فى سجنه الأول فعاد إلى ابروشيته بأفســـس . ثـــم قُبض عليه فى عصر تريبانوس قيصر المدعو ادريانوس سنة ١١٧م وأُقتيـــد إلـــى روما حيث نال اكليل الشهادة رجماً بالحجارة ، ودفن جسده المقدس فى مدينة روما التى استشهد فيها بطرس وبولس الرسولين ليلحق بزمرة الغـــالبين فـــى أورشـــليم السمائية ، وفى أيام الملك اركاديوس نقل جسده المقدس إلى مدينة أفسس ، وتعيـــد له كنيسة روما يوم ١٥ من شهر فبراير والكنيسة اللاتينية يوم ١٦ فبراير وكنيســتنا القبطية يوم ٢٥ من شهر أمشير . بركة صلواته فلتكن معنا ..

ليصنع الرب معنا رحمة فى يوم الزحمة ،

ولإلهنا المجد الدائم فى كنيسته إلى الأبد أمين .



---

[٥] رسالة اغناطيوس إلى أهل أفسس The Interpreter Bible VoL . 11 – أوردها القمص بيشوي عبد المسيح فى كتابه قصة أُنسيمس التائب صـــ٦١ .

س١ : " بولس أسير يسوع المسيح " (ف١:١)

هل ترى أن استخدام كلمة أسير تتمشى مع طبيعة الرسالة التى يرسلها القديس بولس الرسول إلى تلميذه فليمون ؟ وكيف ذلك ؟

س٢: " وإلى الكنيسة التى فى بيتك " (فل١: ٢)

مامعنى هذه العبارة ؟ وهل تخص فليمون وحده ؟

س٣ : " ذاكراً إياك فى صلواتى " (فل ١: ٤)

حالة الأسر التى كان فيها القديس بولس الرسول لم تعطله عن الصلاة من أجل أولاده فى الإيمان . ماهى بعض جوانب التأمل الآخرى فى هذه العبارة ؟

س٤ : القديس بولس الرسول يعدد الجوانب الروحية الطيبة فى شخصية فليمون ، وهذا يُعد أمراً دبلوماسياً فى الخدمة من ناحية ، ومن ناحية أخرى هى أمور يتصف بها فليمون بالفعل . كيف يمكنك التعليق على ذلك من الأعداد (٥-٧) ؟

س٥ : ما معنى العبارات التالية فى الرسالة :

* " أحشاء القديسين قد أستراحت بك " (فل ١: ٧)
* " الذى ولدته فى قيودى " (فل١: ٢٠)
* " فكم بالحرى إليك " (فل١: ١٦)
* " ارح أحشائى فى الرب " (فل١: ٢٠)

س٦ : بولس الرسول يتجنب استخدام السلطة الرسولية ، ويلجأ إلى الدالة القائمة على الشركة والأخوة فى المسيح . ما أثر ذلك على رد فعل فليمون ؟ وكيف يمكن الأستفادة من هذا الموقف فى الخدمة ؟

س٧: ماذا يمكن قوله عن شخصية أنسيمس من حيث :

* تعب بولس الرسول معه .
* قيمته فى قلب بولس .
* ماضيه وحاضره .
* أفاق الخدمة التى أمامه .

س٨ : الكتاب المقدس يعلمنا أن الله يحترم حرية الإنسان فى الإختيار ، فلا قيمة لخير يصنعه الإنسان مضطراً ولا لشر يفعله مجبراً . كيف ترى هذا المعنى فى رسالة القديس بولس إلى فليمون ؟

س٩ : أ- يمكن القول أن بولس الرسول قد كتب صك دين على نفسه وبخط يديه لحساب فليمون نيابة عن أنسيمس . ما هى الرموز التى يمثلها هذا العمل ؟

ب- إلى ماذا يرمز كل من بولس وفليمون وأنسيمس فى مثلث الفداء الرمزى فى هذه الرسالة ؟

س١٠ : " لكى يكون لك إلى الأبد ، لا كعبد فى ما بعد . بل أفضل من عبد أخاً محبوباً " (فل١: ١٦) . لم تدعو المسيحية إلى ثورة إجتماعية تؤدى إلى المساواة بين العبيد والسادة ، ومع ذلك فقد ساوت بينهم فى الجوهر مع الإبقاء مع المظهر . فكيف ذلك ؟



قداسة البابا شنودة الثالث يحمل رأس شهيد من أخميم

صدر من هذه المجموعة :

من العهد القديم : ١- عزرا ٢- نحميا ٣- ملاخي

من العهد الجديد : ١- أفسس ٢- فيلبي ٣- كولوسي ٤- فليمون